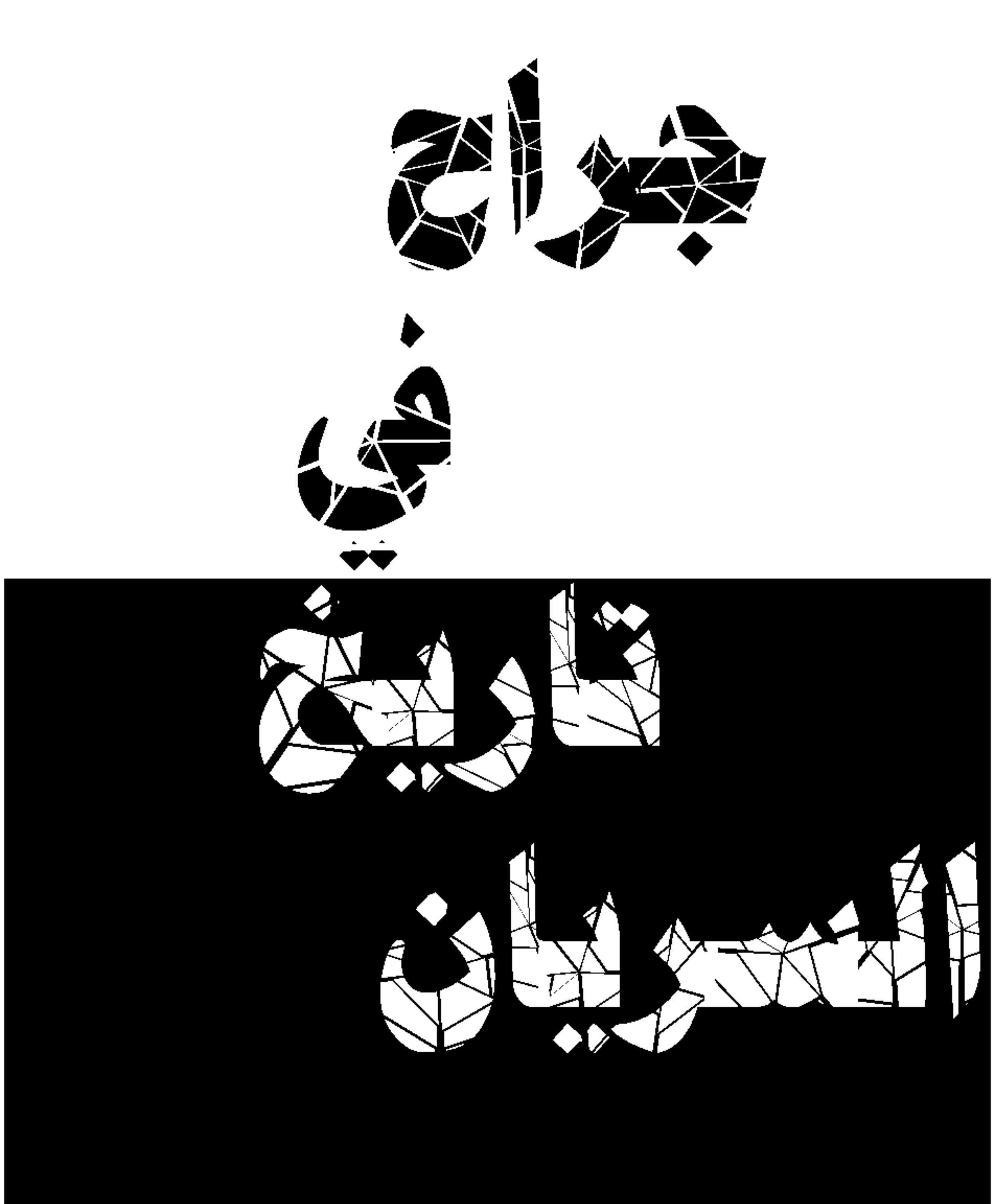

جراح
في
تاريخ
السريان

هذا الكتاب وثيقة أدبية تاريخية بكل ما تتضمنه من عواطف وتعابير عبّر عنها أصحابها في حينه ولم نشأ المساس بها حفاظاً على سلامة النصوص التاريخية.

الطبعة الأولى

نيسان ١٩٨٦

اعده بالسريانية
الشماس اسمر القس كوركيس
١٩٨٠

*اعدّ الكتاب لجنة الاعلام في الرابطة السريانية في لبنان
ترجمه من السريانية إلى العربية الاستاذ صبحي يونان.

لأنها قضية مسيحية واحدة!

من الصليب بدأت حكايتنا
من أول نقطة دم سالت
من المسامير التي دقت في معصمه
من الحراب التي غرزت في جسده!
واستمرت الحكاية.
اطعموا اجدادنا للاسود الجائعة
ومثل خراف سيقوا للذبح
وبقينا نشهد للكلمة والحق.
ومرّت جحافل على حدّ السيف اسلم البعض
من طعنة الخنجر سقط الآخر
وفي ظلمة التهجير غاب الآخرون مرة وراء مرة
تعبت السكين من اعناقنا.
ولأنها حكاية واحدة.
هذا الكتاب.
ولأنه تاريخ مربوط بالعطاء
متواصل في الذاكرة حيّ لا يموت.
وحتى نعرف أن القضية المسيحية واحدة
سقطت هناك وتراجعت هنالك
وها جبل لبنان يكتب آخر الصفحات من الحكاية.
فاماأن نصمد ويبقى في المشرق شعاع نور
وأما أن تبتلع الصحراء كل ازهار الحرية.
ولان حكايتنا من الصليب بدأت
لن تنتهي ألا بدحرجة الحجر
لأن المسيح قام، حقاً قام.

حبيب افرام

مقدمة أولى

مآسٍ وويلات.. حروب وتدمير وتشريد.. مذابح وسفك دماء ومطاردات بلا حدود.. أليست عناوين كافية كي نشيح بوجهنا عنها ونحاول أن ننسى على الدوام آثارها وصورها وبقاياها حتى نستطيع أن نلقّن أطفالنا صورة جميلة عن الوجود؟

نريد دوماً لأطفالنا أن ينسوا الوجه الأسود للتاريخ، ولكننا، بغباء مستفحل، لا نمدّهم بوسائل الوعي والإدراك والدفاع التي تقيهم يوماً ما من الوقوع في نفس المزالق.

شعب بلا ذاكرة هو شعب بلا تاريخ. حين أردنا طمس الذاكرة في أطفالنا، قتلنا فيهم حقيقة الإنتماء إلى وطن، إلى شعب، إلى قضية.

أحداث مذابح ١٩١٥ أو ما تسمى بالسفر برلك قد تكون خاتمة غير سعيدة لسلسلة المذابح والتعديات التي تعرض لها شعبنا السرياني عبر تاريخه ولا سيما بعد إعتناقه الديانة المسيحية. وقد لا يوجد شعب في التاريخ لحق به الأذى على مدى قرون من الزمان بسبب إنتمائه الديني كشعبنا. ولا شك أن هناك عوامل طائفية مذهبية عشائرية جغرافية وظروفاً تاريخية قاهرة وقفت بمجملها ضد مسيرة عجلة الزمان السرياني، ومثالاً على ذلك، فقد كاد القرن العشرين أن يأفل نجمه وهناك جماعات من شعبنا لا تزال متمسكة بتعصبها العشائري

بشكل غير حضاري على الإطلاق يطغى أحياناً كثيرة على الشعور القومي الواحد.

لقد شملت مذابح ١٩١٥ جميع المدن والقرى السريانية على الإطلاق، إستطاع الأعداء أن يستفردوا بها وينكلوا بأهليها، وأنها لوصمة عار في جبين الشرق والغرب على السواء. الشرق الذي اعتاد، بسبب الشعوب البربرية، الدوس على كرامة الإنسان والإنسانية، والغرب الذي، في سبيل تحقيق أهدافه الإستعمارية الواسعة، لم يرَ وازعاً من ضمير في تقديم سلالات بكاملها على مذبح شهواته وأطماعه.

لم ينبر العديدون لتأريخ وتسجيل هذه الوقائع المخزية، فما أسهل للشعب المذبوح أن يكنيها بوصف واحد ويخرج وقائعها كأنها حادثة مفردة. فالموت هو الموت، كيفما كان وأينما كان، وجميع قصص الإغتيالات والدمار تتشابه، حتى أنك بأخذك الدوار وترى نفسك لدى اطلاعك على هذه الأخبار كأنك في دوامة من عظام ودماء ومآس لا تنتهي، يعزّ عليك أن تتابع الصفحات حيث لا بصيص من أمل، لا رحمة ولا شفقة. القليل القليل من سبل النجاة ومواصلة الدفاع عن النفس والعاطفة الإنسانية.

كتابان شهيران صدرا في أوانه. أحدهما بالفرنسية لادمون نعّيم لم يرَ النور إلى اللغة العربية والآخر بالعربية وعنوانه: القصارى في نكبات النصارى من تأليف أحد رجال الدين وهو سرد واسع مستفيض لمذابح سفر برلك.

وقد أصدر في أواخر السبعينات الروائي القدير أفرام نجمة رائعته بعنوان «سفر برلك. أم وإيمان» يصف فيها وقائع مآسي ١٩١٥ بأسلوب روائي فذ يبزّ فيه الروائيين العالميين.

وقد اهتم الشماس أسمر الخوري بجمع الأدبيات السريانية التي تعنى بهذه المذابح وأضاف إليها قصائد من لدنه باللغة السريانية وبوبها تبويباً جميلاً فحصلنا بذلك على نوعين من الإستشهادات: الرواية النثرية والمشاعر التي

فجرّتها الأحداث مدونة بأسلوب شعري رائع.

إنها لصورة محزنة على كل حال. ولكنها صورة الحقيقة التي وصلت إليها البشرية. فلنتعرف عليها بدون عِقَد أو خجل أو تزييف.

هذه هي الإنسانية. فلتتفضل أن تعطينا صورةً أخرى أجمل عن ذاتها. شعبنا لم يغرق مطلقاً في السويداء والإنطواء ولم يستبح ذاته في فنون الكراهية والمشاحنات. حتى الإنتقام لم يدر بخلده قط. إنه يقدّم ذاته ذبيحة على هيكل المستقبل كي تتعلم الشعوب وإلى الأبد أن المحبة والسلام هما شعار بقائها وأن الأوان قد آن لتحقيق حرية جميع البشر، أفراداً وجماعات كي نطوي إلى الأبد أسطورة قايين وهابيل.

صبحي يونان

الموقع	تاريخ المذبحة
١ - الرها	١٨٩٥ - ١٩١٥
٢ - ويران شهر	١٨٩٥ - ١٩١٥
٣ - ديركه	١٨٩٥ - ١٩١٥
٤ - تل أرمن	١٨٩٥
٥ - القصور	١٨٩٥ - ١٩١٥
٦ - بنابيل	١٨٩٥ - ١٩١٥
٧ - شبعين - قره حسن	١٩١٥
٨ - كفرديس	١٩١٥
٩ - مامراكونيا	١٨٢٩
١٠ - دير الزور	١٩١٥
١١ - رأس العين	١٩١٥
١٢ - آمد. ديار بكر	١٨٩٥
١٣ - ميمر القس أفرام عدد (٢)	١٨٩٥
١٤ - دارا	١٩١٥
١٥ - ارضروم	١٩١٥
١٦ - حصن كيفا	١٩١٥
١٧ - كربوران	١٩١٥
١٨ - عربابة	١٩١٥
١٩ - دير الصليب	١٩١٥
٢٠ - زازا	١٩١٥
٢١ - مليمر القس كوركيس	١٨٢٩
٢٢ - عينورد	١٩١٥
٢٣ - مديات	١٩١٥

٢٤ ـ خزنة	١٩١٥
٢٥ ـ بيازا	١٩١٥
٢٦ ـ حلوة	١٩١٥
٢٧ ـ كرفرة	١٩١٥
٢٨ ـ بتة	١٩١٥
٢٩ ـ كفرزه	١٩١٥
٣٠ ـ كعبيه	١٩١٥
٣١ ـ آمد. ديار بكر	١٩١٥
٣٢ ـ قطربل	١٩١٥
٣٣ ـ جاروقية	١٩١٥
٣٤ ـ سعدية	١٩١٥
٣٥ ـ هوارجاي	١٩١٥
٣٦ ـ دير مار آحو	١٩١٥
٣٧ ـ ماردين	١٩١٥
٣٨ ـ دير الزعفران	١٩١٥
٣٩ ـ المنصورية	١٩١٥
٤٠ ـ بنابيل	١٩١٥
٤١ ـ الكولية	١٩١٥
٤٢ ـ قلت	١٩١٥
٤٣ ـ معصرته	١٩١٥
٤٤ ـ بافاوا	١٩١٥
٤٥ ـ الصور	١٩١٥
٤٦ ـ الجزيرة (جزيرة إبن عمر)	١٩١٥
٤٧ ـ نصيبين	١٩١٥
٤٨ ـ سعرت	١٩١٥

ميمر [1]

عن المذبحة التي حصلت سنة ألفين ومائة وأربعين يونانية (سنة ١٨٢٩ ميلادية)

للقس كوركيس الآزخي (الزبدي)

اللّهم منكَ الفهمَ والمعرفةَ والإدراكَ أطلبُ
كي أقصّ حدثاً عجاباً ألمّ بنا مؤخراً
عام ألفين ومائة وأربعين،
بحسب تاريخ الإسكندر المقدوني إبن فيلبس اليوناني
ظَهَر في الأكراد ملكٌ إلتفّت حوله الأمم الغريبة
فأمعن تقتيلاً بالألقوشيين وشنّ الحرب على السريان
الملك راونديز الوقح المتعطش للدماء
تسلّل كذئب مفترس إلى حظيرة المسيح وفتك بها
إنداح صيته في الآفاق فحلّت الرعدة في الخلائق
وفي الكنائس والأديرة لا أصوات ولا أنغام
في اوائل تشرين الأول هبّ مير سيفدين
الصفيق المجنون العربيد وانطلق نحو الكردي
كان اتفاقاً ممزوجاً بالحقد وقساوة القلب.
عبرا دجلة سوية، فكانت الحرب الطاحنة.
يعجز لساني عن وصف الويلات التي سببّها الملوك الكافرون

[1] الميمر قصيدة سريانية مطوّلة تبحث في موضوع واحد

الذين أبادوا الرجال بحد السيف وسبوا الآلاف
يا لك من زمان السوء حين يتبوأ السلطة الغلام الجاهل
يدوس الشيخَ، فتذهل البرايا..
أندبك بالوجع والبكاء أيتها الكنائس والأديرة
وقد اقفرت احشاؤك من الترتيل والكلام الإلهي
وإلى اي مصير آليت يا قريةً مسيحيةً منعزلة
حين فاجأ الطغاة كهنتِك وشمامستِك، القرآء والمفسرّين
أبادوا الأطفال بحد السيف واجتثوا نسمة الحياة من الشبان والكهول
أندب بالوجع المرير ذاك الكاهن وإبنه
اللذين فتك بهما الموتورون، فحلّقا بأجنحة خفاف
إلى خدر الملائكة وموطن الأحرار
فشعشع من أعمالهما الصالحة ما يوازي لمعان النجوم
هل تَرِدُني أسماؤهم بعد؟ أحدهم القس شمعون
والشماس عبد يشوع الذي كان يعد نفسه للكهنوت
صوته كرنين الناقوس وفي قلبه تختلج عواطف الصداقة والأخوة
ونال إكليل الشهادة على أيدي الكافر الظالم
وكان يوجد شماس آخر ماهر في القراءة والعلوم
في الكتب في التواريخ في الترجمات والتفاسير
يدعى الشماس مراد وقد قدّم نفسه للّه صلاةً
وأذاقه الكفرة كأس المنون التي تذوّقها قبله الشهداء
كما أرثيك أنت أيضاً أيها الشماس بهنام ذو الطلّة البهية
ثمانية طلاب قُتِلوا! صبية الحب والبراعم!
وانضموا إلى قافلة الأطفال الذين صرعوا في مؤامرة بيت لحم
وحزّوا رؤوس بعضهم في أحضان الأمهات.
تجيش على نفسي العبرات، الألم والحسرات، وأندب
الصبايا والعرائس وقد وقعن فريسة البكاء

والنسوة الخُفَّر مرميات في الساحات
وكان اسرٌ وكان سبيٌ وأطفال وبنات
وكانت في الكون مأساة
يا قرية بيت زبدا ماذا أصابك؟
يعجز لساني عن وصف ما دهاك
كل من يراك يقف منذهلاً، لا قبل ولا بعد!
الويل! الويل! يصرخ كل من عاين سبيك
يا قرية بيت زبدا، لقد أذهلت المسكونة،
فكيف في طرفة عين تستبدّ بك الأحزان
ويُقتل منك مائتا رجل بالتمام والكمال!
غريب، هذا الشر غريب، فمن يفهمه؟
هلموا إلى قرية أسفس لنعاين العجب العجاب
كيف استولى الرعب على قلوبنا!
هل من أخوة ينصروننا وينقذونا من الضيق!
ها هو الأفعى ملك راونديز في صرعةِ كَلبٍ وحشي،
يلتهم الجهات الأربع بسيف ينزف شهوة الدم
قتل الأب عرابو فصار الخوف سيداً
كان عرابو شماساً وكان رئيساً
غيوراً وتقياً لكنه قُتِل.
القس عزيز، المؤمن الرصين، ذبحه الكفرة الظالمون
كالشهداء الأوائل
إلتجأ الشبان والأطفال إلى الأودية والغابات
فسعى الجزارون في أثرهم ذئاباً، بنصلات سكاكين تلمع
وأجهزوا للحال على ثمانين منهم
أيها الزمان العجاب، ماذا حدث لنا؟
أندب وقلبي يعتصره الألم والحسرات، النسوة الأسيرات

والصبية والفتيات اللواتي عرّاهن الكفَرَة
فيا لكم من كفرة غاشمين ظالمين غلاظ الرقبة
كذئاب تتحرقون للمفاسد، كقايين الأفعى
كل من تصادفونهم يمسون ملككم ومقتنياتهم مقتنياتكم
تسوقونهم بالإكراه، تبيعونهم كالحيوانات.
لم يكن هناك حدود للأذى
كم من ضربات تحملنا، كم من مشاقّ حلّت بنا
أخوتنا، بأم أعيننا، رأيناهم، مشرّدين، مسبيين، منتهبين
نعاينهم عن بُعدٍ مُذَلّين، مطروحين، مسحوقين
لكنّ قلبنا ليس يلين وعيننا الشريرة لا تدمع،
قلبنا المرّ والقاسي لا ينفث حسرةً
على الكتب والمجلدات التي لامستها الأيدي الدنسة
فتبعثرت في الساحات لأننا إرتكبنا الموبقات
خطيئتنا وذنبنا عظيمان فجاءت تؤدبنا عصا الغضب
صرنا طعماً للسبي ولم نرعوِ عن خطايانا،
تجاوزنا الشريعة،
سخرنا من الإيمان، لم نوقّر الكهنوت،
فاستعبدتنا الوثنية
يا لزماننا الرديء! كم نفتقد للحكيم والمسؤول
كي يسوسنا كما يقتضي الأمر فلا نهلك بالخطيئة
يا لزمن البلايا حين أفسدت الملوك الأرجاء
وساد الرعب في كل مكان
أحدهم وصل إلى نصيبين وشن هجوماً على ماردين
والآخر هبط من القسطنطينية واستعمر الأرض.
أنّ لي أنا العبد الضعيف الخاطيء والعاثر
أن آتي على ذكر الضيقات التي تعصر القلب ألماً!

اسمياً أنا أدعى ايهرانيوس أما بأفعالي فأمرطوس
رحماك يا الله أن تنقذني من البرابرة
فأنا عبد عاجز ولا ترضيك تصرفاتي الشائنة
وغايتي من هذا الميمر هو القديس مار دودو
عسى كاتبه ينجو من مخاطر
العدو والشيطان المتأهب دوماً للهلاك
هلموا يا أخوتي نرفع سويةً
المجد والشكر
للآب والإبن والروح القدس
قوة واحدة بلا إنقسام.

الرها (اورفا)
١٨٩٥

شالتئيل، حداد ماهر في صنعته، ولهذه الغاية فقد جاءه المسلحون المخادعون طالبين منه سنّ أسلحتهم وسيوفهم. فحالما شعر المسيحيون بخديعتهم، تسلقوا السطوح لينجوا ولكنهم لم يفلحوا فألقوا بأنفسهم إلى الأسواق هرباً من الأتراك الذين هاجموهم ورأوهم يضربون البعض ويقتلون الأخرين وينهبون الدور والحوانيت. وحينما سدت في وجوههم السبل لاذوا بكنيستهم الكبرى التي هاجمها المسلحون بمساعدة العساكر فحطموا أبوابها وشرعوا يقتلون الشعب بلا رحمة كذئاب مفترسة تمزق قطيعاً من الأغنام.

وهكذا تكدست جثث القتلى في الأسواق وفي الكنيسة ودمهم يسيل كجداول غيث مدرار.

السريان والكاثوليك لم يفقدوا الكثير، فيما عدا بطرس الزاعور الكاثوليكي الحلبي.

ميمر
وضعه القس حنّو (يوحنا) العينوردي بعنوان «المذبحة العامة في جميع البلدان» يصف فيه الحوادث التي وقعت في الرها عام ١٨٩٥

وفي تلك السنة عام الفين ومائتين وسبع

من تاريخ الإسكندر ملك المقدونيين
أثار الكفرةُ الحرب على الرها ـ ما بين النهرين
وقتلوا من رجالها ونسائها ثلاثة عشر ألفاً.
يوم الإثنين في رأس السنة المسيحية
سنة ألف وثمانمئة وستة
أعمل المسلمون سيوفهم في المسيحيين
ولم يعفوا عن رجل أو إمرأة أو أي بيت.
أمر العثمانيون أن يتجمع المسيحيون
كل طائفة في كنيستها
فلم يكادوا يدخلون إلى كنائسهم ويتأهبون للصلاة
حتى هاجمتهم العساكر وأفنتهم.
واهاً عليك أيتها الرها يا مدينة الأبجر المحبوبة
كنت كنزاً من ذهب وفضة ومتاع وغنىً
فهاجمك الكفرة السفاحون وأمسيت خاوية
قتلوا رجالك وشبابك فصرت يتيمة
واهاً عليك يا اورها مار افرام السرياني
إذ وافاك الملك الظالم غليظ الرقبة
وشرع يقتل أبناء الشعب المسيحي.
وثلاثين شخصاً من الشعب السرياني أيضاً.
كان في الرها رجل مشهور وغني
ضمّت داره ما يزيد على الأربعين نفساً
فاجأهم الكفرة عنوةً
أسروا الأباةَ لأول وهلةٍ وأهانوهم
وافتنّوا من ثمّ بالإبادة الجماعية
فيما أدخروا النساء الجميلات للسبي.
مذهلٌ فعلهم

سبوا كل شيء وأوقدوا الدور برمتها
في الرها، ذبح أحد الكفرة بيده
أربعين غلاماً
أنا متيقن أن بادرة الشيخ حسن هذا
هي إحدى علامات الآخرة.
أمر الحكام أن تُسد منافذ الأسواق
وأقاموا عليها حراساً
لئلا يغادر أي مسيحي بيته
ثم انقضوا عليهم وحطموهم كآنية من فخار.
هلموا يا أحبائي وامعنوا النظر في هذا السبي
والخزي الذي اقترفه الكفرة العتاة في هذا البلد.
فتكوا بالرجال وبلا حياء أذلوا النساء
وباعتقادي أن لا خطيئة عليهن تحسبُ.
تأملوا جيداً يا أحبائي في هذه التصرفات
فباعتقادي أن ما يتعرض له الإنسان من شرّ
مرغماً لا يدينه به الديان
كونه عادل رحوم وشفوق.
سبى طيطوس أورشليم ومحيطها
لأنها صلبت ربها يسوع المسيح
ولم يكن لهذه المجزرة ندّ في جميع العصور
واعتقد أن الكتب ذاتها لا تعي شيئاً من هذا.
ما حدثت قط نازلة كهذه حتى من الأقدمين.
نبوخذ نصر حين صعد إلى أورشليم بجيشه البابلي
لم يفعل بالشعب الإسرائيلي
ما فعلت الشعوب الكفرة بالمسيحيين.
بدأت مذبحتهم في مدينة بدليس

ومن ثم أعملوا سيوفهم في آمد
وفي سويركه وبيلاجوكه وفي الرها المحبوبة
في ملاطية ومرعش وفي مدينة سيواس كذلك
وفي كل ما يحيطها من أرياف وقرى
يريدون من آمنوا بالصليب موسوماً على جباههم فأين المفرّ؟
وخفّوا فقط بالنساء الجميلات.
يا أحبائي ، إن ما فعله الكفرة
لم يطرق مسمعنا من قبل قط
وتراني أفصّل لكم كل حادثة خبراً يقيناً
من تراه يحصي عدد القتلى في الشمال
في الحقيقة، لا أحد!
وأظن أنهم يربون على مئة ألف
عدا ما نجهله عن عدد النساء المسبيات.
فأنا شخصياً ما زرت تلك المدن
والمناطق التي صارت عرضة للذبح
وما رويناه في هذا القصَصَ
استمعنا إليه من شهود عيان
ولم نأتِ على ذكر سوى النزر اليسير
من فائض الأخبار
وبنسبة واحد من ألف لا غير
ويكفي أننا صورنا صورة السيف القاتل.
ماذا أقول وماذا أترك؟
سأروي الواحد من الألف وأصمت
إذ يستحيل على المرء أن يحكي كل شيء.
لا تعجبوا يا أحبائي في ما جرى
ألم يأت على ذكره الكتاب المقدس منذ البداية؟

ألم يخبرنا به دانيال والبشارة كذلك؟
فلو كان الأمر مستحيلاً لما حدث.
إن ما فعله الملك الكافر الشرير
في مدينة الرها بالأمة المسيحية الفاضلة
لم يفعله طيطوس باليهود في أورشليم
ولا هيرودس بأطفال بيت لحم
حين مزج الحليب النقي بالدم.
لقد تمّت هذه الآية في الرها
حين بقروا بالأسنة بطون الحبالى
فأخرجوا الأجنة وطرحوها في الأسواق والساحات.
بسبب الأثم والطمع والزنا
بسبب الربا وفتور الحب والإيمان
تمكنّت منا هذه أمة الكفر.
فيا رب نجنا من تأديب الغضب هذا.
ألا من يعيرني أجنحة النسر كي أحلّق في الفضاء
عالياً فوق المدن وما جاورها
لأشهد الخزي الذي اقترفه الكفرة فيها
وكأس المرارة التي أترعوها الرجال والنساء.
تكاتف الأتراك والأكراد معاً
في هجومهم على قرية سعدية
وأحاطوا بها إحاطة السوار بالمعصم
وقضوا على رجالها وسبوا النساء
فاتشحت السماء والأرض بالسواد
على ذبح المسيحيين،
دمروا القرى المتناثرة في السهول والمنطقة أجمع.
كانت أرمينية خاضعة للسلطان حميد

حين حدثت هذه الكارثة
التي لم يُشهد مثلها من قبل .
فمنذ اليوم الذي ظهر فيه محمد العربي
لم يحدث للمسيحيين ما حدث لهم اليوم .
لقد ذاع هذا الخبر في كل مكان
ونشر الذعر في القلوب
وكداء الآكلة الذي لا ينثني
حلّ الرعب الهائل .
هاتِ يا أرميا وولول بمراثيك المدوية
إرثِ السريان والمسيحيين من الملل كافة
وابكِ الجبال العالية والهضاب
فقد نكّل بنا الكفرة كالأفاعي
هلّم يا أرميا يا نبي الروح
وابكِ الشعب السرياني
الذي سقط ضحية الشعب الكافر
ولم يتبق له في النهاية غير يسوع الناصري
يا أحبائي ، تعالوا نتصالح مع الله
بأصوام مديدة وتوبة نصوح
كي لا نؤخذ بسيف التأديب هذا
ربّ نجنا من سيطرة غضب الكفر .
هلموا يا أحبائي ، تأملوا جيلنا هذا ،
أليس لأننا افتقدنا الحكيم والمدبّر
قد صرنا فريسة للشعب الكافر الظالم
فيعذبنا وينكّل بنا بلا شفقة !
أنا الشقي العبد المرذول
أدعى القس يوحنا من عين ورد

ومن عشيرة قوفر، أنا رجل مسيحي
قد ألّفت هذا الميمر بترتيب أبجدي مزدوج
أنا الشقي الخاطيء
قسيس وكاهن للرب اسمياً
وبأفعالي أنا عكس ذلك
لكنني مفتقر إلى رحمتك وغفرانك
المجد للآب الذي يفيض بالنعم على أبناء البشر
والسجود للإبن الذي أسر وسجن قاتل الناس
والشكر للروح الغير المدرَك واللامحدود
السجود والمجد للآب والإبن والروح القدس.

مذبحة الرها
١٩١٥

ما كادت عشرون سنة تنقضي على مذبحة عام ١٨٩٥ ميلادية حتى تعرضت الرها كالعادة، عام ١٩١٥، إلى مذبحة أخرى مريرة. وجواباً على الامر الذي اصدرته القيادة العسكرية بوجوب تسليم الاسلحة إلى دار الحكومة، وإزاء الاحكام والتهديدات بالقتل، فقد رفض الرهاويون أن يسلموا. وسرعان ما هجم الجيش يتقدمه ضابطان المانيان بالقذائف الضخمة فدكوا القلعة وحطموها وقتل فيها خلق كثير. ثم جابوا بيوت الأرمن وقتلوهم وجروا من الكنيسة رئيس كهنتهم فعذبوه واسلموه للشنق فصرخ حينذاك بصوت عالٍ: إني أموت فداء حب المسيح وحب أرمينية، ونال للحال اكليل الشهادة . ثم قتلوا ما تبقى من الارمن ونهبوا بيوتهم كما قتلوا الكثيرين من ابناء الطوائف المسيحية الاخرى وقد ظل احياء من شملهم قرار العفو .

وقد عثرت على وثيقة من مذكرات «صلاح سالم باشا» الذي كان والياً على الرها بواسطة إبنه وحيد الذي درس لدينا مدة ثلاثين سنة، فيها ما يلي:

خلال الحرب العالمية كان في الرها ومنها انتقل إلى بتليس. وحين كان في الرها نشب العداء ما بين الاكراد وكل من الارمن والسريان. فلجأ الارمن والسريان حالاً إلى كنائسهم ودخل الاكراد إلى المساجد والكل يتواعد الآخر.

فلما رأى الوالي هذا غامر وكتب فرماناً كما لو كان من فم السلطان، يقول فيه: «كل من يحاول أن يختلق علة للقتل أو ما إليه، يُقتل» وعلّق هذا الفرمان أمام أبواب الكنائس والمساجد وعلى أسواق المدينة.

ومن نافلة القول أن من يفعل هذه أو ما شابهها كما لو أنها من فم السلطان، لا بدّ أن يقتل.

ولما بلغت هذه الأخبار مسامع اسطنبول ارسل السلطان إلى الوالي وسام التقدير. ثم أبلغوا الباشا أن البعض قد سلبوا عنوةً متاع وثروات المسيحيين فأمر أن تعاد لكل واحد مقتنياته وأمواله.

وفيما عدا ذلك فقد أنقذ أيضاً الرهاويين المسيحيين أبان رحيلهم وحفظهم من كل سوء حتى وصولهم حلب..

وبسبب عدله هذا ومحبته للحق فقد أرسل إليه النائب البطريركي للسريان الأرثوذكس رسالة شكر. ومن بعدها تسلم ولاية بتليس ثم أدنة. ثم أصبح وزيراً للداخلية في اسطنبول. وحيثما كان هو كان المسيحيون أحراراً في كنائسهم وصلواتهم إذ لم يظلم أي إنسان كما أكّد هو وأكد لنا أناس في مدينة بيروت التي انتقل إليها فيما بعد وعاش فيها مدة ومات. فشيع جثمانه كل الشعب السرياني ولا سيما الرهاويون منه.

ويران شهر (غوران)
تل موزل
١٨٩٥

ويران (غوران)، شهر (مدينة) أي المدينة الغائرة التي قَلَبَ زلزال عاليها سافلها، وباللغة الآرامية (تل موزلت) التي جدد بناءها الملك قسطنطس سنة ٣٥٧ للميلاد.

قبل عام ١٨٩٥ كانت تضم ثلاثة آلاف نفس من المسيحيين.

وفي الثالث من تشرين الثاني هاجمها الاكراد ونهبوا حوانيتها، ولما سمع ابراهيم باشا بالخبر طردهم، وفي اليوم الذي تلاه أعادوا الكرة لذبح المسيحيين وثانيةً امتطى الباشا نفسه حصانه وسار على رأس فرسانه فطرد الأكراد واستولى على ستة من احصنتهم وعلى بعض السلاح فبارح الاكراد القرية وتشتتوا.

وحضرت آن ذاك قافلة من تجار حلب تريد ماردين. فمنعهم ابراهيم باشا وأوصى أن تنقل أحمالهم إلى داره وقدم لهم طعاماً مدة عشرين يوماً. ولما استأذنوه بالسفر اجابهم بأني أخشى عليكم الأكراد المجرمين إذ ليس بامكانكم أن تجابهوهم فتفنون انتم وتنهب أموالكم.

ويران شهر (غوران)
تل موزل
١٩١٥

في هذا الوقت انتشـرت الجيوش العثمـانية في قـرى آمد والمـدن الأخرى اعني ماردين وسعرت وبـد ليس ورندوان والـرها ومـديات والجـزيرة ونصيبـين وقراها لتجمع السلاح من يد الشعب وعلى الخصـوص من المسيحيين، أي من الحدود الروسية حتى حدود فارس.

قبل عام ١٩١٥ ميـلادية كـان يوجـد في ويران شهـر نحو ستمـاية بيت مسيحي من مختلف الطوائف.

في مبتدأ شهر أيـار بدأت هجمـة الجيش التركي عـلى الاسلحة في بيـوت المسيحيين فما عثر على شيء منها حتى وصل مبعوث والي آمد الـذي جمع رؤسـاء المسيحيين وشرع يتهـددهـم ويتوعـدهـم بالقتـل. فادخلهم اولاً إلى السجن وفي اليـوم الحادي عشـر منه قتـل بعضـاً منهم. وفي العشـرين من أيـار شعـر أحـد السجناء واسمه عبد الاحد بأن اجله قد دنا بسبب ما ناله من الضـرب فالتمس أن يرى أمه واخته فجاؤوا بهما إليه فقبلوا بعضهم، وفي الثامن من حزيـران قتل هو أيضاً مع ثمانيـة آخرين ممن كـانوا معـه. وفي ١٥ حزيـران قتل أيضـاً القس الارمني اسحق، وفي ١٧ انتشـرت العساكـر كالجـراد وتـآلفـوا مـع الاكـراد في الأسـواق ودور المدينـة وجمعوا الـرجال والشبـاب أي من عمـر اثني عشـر وحتى السبعين وادخلوهم إلى السجن فكانـوا اربعمئة وخمس وسبعـين نفساً مـوثوقـين اربعاً اربعاً وفي غبشة الفجر اخرجوهم خارج المدينة وقتلوهم.

ثم جمعوا الفتيان والفتيات والشابات وعددهم نحو الف وخمسمايـة نفس فعروهـم وقتلوهـم. وعلى ثلاث دفعات قتل هؤلاء المسيحيون كباراً وصغاراً مـع القس جبرائيل أحمر دقنو الذي أقرّ أحد المجرمين واسمه «أيوب حمزة آغـا» بأنـه بيده قد قتل هذا القس حينما كان الأتراك وضباطهم يصـرخون: أن المسيحيـين لكلاب ويستحقون القتل.. آه..

ديركه
١٨٩٥

ديركه قرية قريبة من ماردين. فيها ينابيع ماء طيبة وبساتين أشجار وزيتون ومشهورة كذلك بالعفص الذي ينمو في جبالها وسواه. ولها ذكر جميل في كتابات المؤرخين السريان. وعلى الخصوص في مؤلفات البطريرك مار ديونيسيوس الرابع التلمحري من القرن الثامن. ويوجد قربها دير جميل لا تزال اسواره قائمة حتى الآن وسكانها خليط من السريان والأرمن وأيضاً من الكاثوليك والبروتستانت.

فكان لما هجم عليها الاكراد المجاورون في صباح العشرين من تشرين الثاني، استنفر «اوصمان آغارشو» مع مائة وخمسين فارساً حكومياً واشتبكوا مع الأكراد وطردوهم دون أن يدعوهم يمسّون المسيحيين بسوء.

١٩١٥

أما سنة ١٩١٥ ميلادية، في شهر حزيران، فقد ارسل الطاغية رشيد ضابطين إلى بيت اوصمان حيث اجتمع بهما كهنة الكنائس. وبعدما ، صرفهم ارسل في اثرهم ثانيةً وكالوا لهم الضربات القاسية مطالبينهم بالسلاح الذي في أيدي شعبهم. وأودعوهم السجن ووضعوا أيديهم على كل المسيحيين وبعد فترةٍ وصل ضابط آخر من آمد واعلم عن العفو الذي صدر بحق المسيحيين.

لكنه جمع رؤساء المسلمين وشيوخهم وخليل بن ابراهيم والياس الحاج اوصمان ليلاً وقال لهم: كل من يساعد مسيحياً يقتل. وفي الليل نفسه جمع الرجال المسيحيين وأودعهم السجن.

وفي يوم من أيام حزيران بدأ وكيل الطاغية رشيد بمعاونة متعصبين مسلمين يخرج الشيوخ من السجن واوثق الرجال والشبان وارسلهم إلى خارج

القـريـة ليقتلوا. ثم جمـع النسـوة والشيــوخ وهؤلاء أيضـاً مضى بهم وقتلهم. واستثنيت النسـاء والبنات اللواتي انتقـوهن واحتفظوا بهن. وشنقـوا الكهنـة في السجن.

أما قصة مقتل بقية السكان فطويلة، وبلغ عددهم ستماية وعشرين الفـاً في آمد وجوارها.

تل ارمن
١٨٩٥

تبعد هذه القـرية عن مـاردين أكثر من ثـلاث ساعـات. سكانها سـريان وأرمن. اتفقوا مع رشيد آغا الكيكية ومع نائب الحميديـة بأن يـدفعوا لهـما مبلغ تسعين ليرة على أن يطرد الأكـراد عنهم. فدفعـوا له اربعمـائة ليـرة مع حصـان أصيـل. ومـع هـذا فقـد أشـار إلى المسلمـين فـدخلوا القـريـة ونهبـوا البيـوت والحوانيت.

فلما رأى المسيحيـون ما جـرى هربـوا ولاذوا بالكنيسـة، فوعـدهم خيـراً وسلمـوا أنفسهم. ولكن كعادتهم الشـريرة، حـالما خـرج المسيحيون، عـروّهم وقتلوا الكثيرين وتمكن البعض من النجاة بنفسه.

أما الرؤساء الذين أرسلهم المتصرف لحمايتهم، فقد صعدوا إلى السـطح وهـم يستهزئون بهم. وأحد المسلمين دخـل الكنيسة وأخـذ صورة مـار جرجس الشهيد ومزقها وللحال ضربه الله ومات لساعتـه. هذا مـا رَوَته لنـا إمرأة مـدير ناحية كربوران التي نجت مع أمها العجـوز (وهي التي علمتني في البدايـة اللغة التركية، وزوجها راشد بك علمني الخط (الكتابة) التركي).

كوليه أو القصور

١٨٩٥

ماذا احدث عن الكولية، تلك القرية الكبيرة التي كان فيها ما يـربو عـلى الخمسمائة بيت سرياني. لقد كانت قرية سريانيـة محض. وهي تقع في السهـل جنوبي ماردين على مسافة ثلاث ساعات.

لما سمع هؤلاء بما جرى في تل ارمن طلبوا من متصرف المدينة أن يحميهم من الأكـراد المجاورين لهم. فـأرسل إليهم نجـدة من مائـة وخمسـين عسكـريـاً بقيادة صادق بك النائب الحميدي وفؤاد افندي الذين وصلوا إلى القرية ووجدوا المسيحيـين ملتجئـين في الكنيسـة. وبـالحيلة والخـداع انتـزعـوا منهم اسلحتهم واعدين إياهم بالخلاص.

وفي الليل هجم عليهم أكراد الغرب بعد ما اتفقوا مع الأكراد المجـاورين للقرية. وفي صبـاح يوم الجمعـة نهبوا البيـوت وقتلوا نحو خمسـين من مسيحيّ القـرية وهـرب الآخرون. أمـا هؤلاء فقد اخـذوا معهم النساء والبنـات اللواتي اختاروهن واشعلوا النار في القرية.

وآخرون صعدوا إلى سـطح الكنيسة، دون جـدوى فقد كـانوا عـزّلاً من السلاح. وللحال هجم عليهم الأكراد فألقى هؤلاء بـأنفسهم من أعلى السـطح إلى أسفل. وكان أحد العربان قد غرز رمحه في الأرض تحت السـور وسقط عليه واحد من أبناء الشعب فـدخل في بـطنه وخـرج من ظهره. وللحـال أخذ أحـد المسيحيين الرمح كي يتسلح به وهرب. فكان البدوي يصرخ: المسيحي سـرق رمحي.

كولية أو القصور
سنة ١٩١٥

يوم الثاني من تموز ١٩١٥ تجمعت عشائر الملية والدقورية والكيكية وغيرها وأحاطوا بالكولية. فاحتمى المسيحيون بالمائة والعشرين عسكرياً المولجين بحراستهم. فطرد هؤلاء المهاجمين نهاراً. وفي الثامنة ليلاً دق نفير الحرب وهجم الأكراد والعساكر سوية على القرية كجرادٍ زاحفٍ على حقول القمح وبدأوا يقتلون ويذبحون المسيحيين الذين لجأوا إلى بيت ايليا كنعو. وذبحوا في تلك الليلة ما يزيد على الفين. وارتوت الأرض من دمائهم .

وكان شيوخ المسلمين يذبحون الواحد أثر الآخر على فم البئر قائلين «بسم الله الرحمن الرحيم» ويلقون الجثث في البئر. وواحد من السفاحين صعد إلى السطح حيث تجمع الاطفال فكان يلقي بهم إلى اسفل حيث تتلقفهم الحراب وهو يقول: «هيا امضوا وارعوا الجداء».

وكثيرون من هؤلاء السريان نجوا ولجأوا إلى قرية «تومكة» حيث حماهم صاحبها - خليلو - وقدم لهم الطعام ونال رضا الله. فليكافئه عوض الواحد الفاً ولا يضيع أجره.

قلعة مارا[1]

١٨٩٥

قلعة المرأة قرية مشهورة شرقي ماردين قرب دير الزعفران المبارك أهلها كلهم من السريان .

ما إن سمع اهلوها ما صار بالقرى المجاورة حتى تركوا أموالهم وامتعتهم وشخصوا إلى دير الزعفران واحضروا حروف المطبعة وصبوها رصاصاً ليقاوموا الاعداء وظلوا ثم خمسة أيام لم يقتل منهم سوى ثلاثة رجال وعجوز. وبعد هذا هجم عليهم عبد افندي الملازم في طائفة من الجند وصوبوا نحوهم الرصاص فقتلوا منهم زهاء سبعين شخصاً. واوفدت حينئذ الحكومة ثلاثين جندياً أرجعوهم إلى قريتهم وأمّنوا حياتهم.

قلعة مارا

١٩١٥

يوم الجمعة ١١ حزيران ١٩١٥ وافت إلى ماردين نسوة من القلعة وافدن مطران السريان، أن الأكراد يستعدون للهجوم على القرية فأشار عليهن بالشخوص مع ذويهن إلى الدير فحملوا أمتعتهم وذخائرهم وقصدوا الدير. وصباح الأحد خرج منهم أربعة وخمسون رجلاً وقصدوا القلعة في استحضار ما تبقى في بيوتهم وقد رافقهم جنديان للمحافظة. لكنهما أثارا عليهم الداشية فأدركوهم عند الشرفة وفتكوا بهم جميعاً ولم يفلت منهم إلا جرجس بن عبي وشمعون بن ملكي يعقوب. ولما بلغ خبر مذبحتهم أهالي القرية أخذتهم الحمية فانطلقوا إلى موضع المذبحة ونقلوا شهداءهم في الاعدال وحملوهم إلى الكنيسة

[1] قلعة السيّد

ليدفنوهم في تربة الأجداد فأطلق عليهم الداشية الرصاص لكن الله نجاهم جميعاً فدفنوا القتلى وعادوا إلى الدير. وبعد هذا سار منهم زهاء ستين رجلاً ليقطفوا عنباً من كروم القرية فشد عليهم الداشية وفتكوا بثمانية منهم وأحرقوا يوسف حنو.

ويقيم اليوم قسم كبير من أهالي قلعة مارا على الخابور في الحسكة.

بنابيل
١٩١٥

هذه القرية الباسلة تبعد عن ماردين زهاء ساعتين وبعض سكانها من البروتستانت وكان تعدادهم قبل عام ١٩١٥ نحو مائة وخمسين بيتاً وهم مشهورون بالشجاعة والبطولة، لكن الأكراد عمدوا إلى خداعهم كما فعلوا في القصور فقتلوا بعضاً منهم، بعدها ارسلت الحكومة عبدي جلبي وحاج خليل باشا مع مائة وخمسين عسكرياً للمحافظة على القرية. لكن هؤلاء اتفقوا مع الأكراد. وصارت مناسبة لبعض المسيحيين فنجوا هاربين إلى ماردين.

تقع قرية بناي أو بنابيل في وادٍ عميق وواسع يحيط بجبال ماردين، وينبع منه نبع شهير يدعى (نهراسه) يسقي كل زروعها، وحقولها وبساتينها مشهورة بخضارها وفواكهها وينقلونها إلى ماردين من أجل إطعام الشعب في هذه الحوادث.

وسكانها أقوياء لا يحنون رؤوسهم لا لبعضهم ولا للغريب ومن هنا اشتهر رجالها ونساؤها بالعناد، وتشتغل النساء جنباً إلى جنب مع الرجال وقد عرف عنهم خدمتهم لدير الزعفران إن في الكروم أو في الزراعة والحصاد الخ.

ويشتهر اهل بنابيل أيضاً بعادة جميلة وشريفة. فعندما يرسم بطريرك في

الدير كانوا يتولون حمل الكرسي بالقوة إذ كانوا يعدونها أحد حقوقهم الذين هم اجدر بها.

ومن بطولاتهم يُحكى بأنه عام ١٩١٠ قدم أهالي رشمل «وهي قرية تحول أهلها عام ١٥٩٥ إلى الإسلام» وبنوا لهم مسجداً صغيراً على ضفة نبع «نهراسه». وفي يوم الجمعة كان الملا يؤم المسجد للصلاة برفقة أربعين شخصاً وهو العدد المطلوب لأدائها، حين وردت إمرأة الماء لتملأ جرتها فوقع نظرها على أحد المسلمين وهو يتوضأ بشكل سافر. فرجعت للحال دون ماء وجاءت إلى حائط كان بعض رجال القرية يتفيئون في ظله كعادتهم، وطرحت الجرة عن كتفها وكسرتها أمامهم قائلة: لقد افتقدتم الرجولة والشرف. فأجابها يوسف بروكي بحدة: انطلقي الآن إلى بيتك ولا تنطقي بكلمة، وعند المساء جمع إليه الرجال والشبان وحذرهم أن يفشوا السر للنساء أو للغرباء. وأمرهم أن يأخذ كل منهم رفشه وقدومه وانطلقوا ليلاً إلى المسجد ولم يتركوا فيه حجراً على حجر ثم جاؤوا بثيران الفدان وحرثوا الأرض (مكان المسجد) وزرعوها شعيراً وأداروا عليها الماء فنمت في فترة قصيرة.

وفي يوم الجمعة، جاء الملأ ليصلّي كعادته فلم يرَ أثراً للمسجد مما أثار حفيظته وأسرع إلى القرية مستفسراً عن البناء الذي لم يبق منه حتى الأساس.

وقد أجابه يوسف المذكور: يبدو لي أنك قد جننت ولا يعقل أن يوجد بناء لمسجد حيث لم يوجد مسلم منذ نحو ألف وثلاثمائة سنة.

فذهب الملاّ فوراً إلى ماردين ورفع القضية للباشا الذي أرسل أحد القادة إلى القرية برفقة عبده جلبي الذي تبيّن أن القرية مسيحية. فطرد الملاّ وهو يقرعه قائلاً: أنت تكذب ولا يُعقَل أن يكون هناك مسجد حيث لا يوجد أي مسلم، وكيف نبت الزرع من يوم الجمعة حتى الآن في المكان الذي تدّعي وجود مسجد فيه.

وفي تلك الأثناء حين سمع أهالي بنابيل بالحوادث الدامية وسواها التي جرت للمسيحيين عجلوا وارسلوا شيوخهم ونساءهم وصغارهم إلى دير الزعفران. أما الرجال والشباب فقد تسلحوا وانتشروا في البساتين والكروم.

وفي حزيران تقاطر مسلمو الأومريان والمحمودية والرشمل رجالاً ونساءً وأولاداً مع دوابهم كي يمعنوا في القرية التي استصغروها قتلاً وسبياً ونهباً. فسأل أهلها أحد العساكر المتواجدين لديهم لحراسة القرية أن يتوجّه إلى ماردين ويأتي بقوات أكبر لمساندتهم ولطرد الأعداء. ولما مضى ذاك الجندي إلى المدينة وتأخر قدومه، سأل أهالي بنابيل صديقهم المسلم «خليل غزالة» فأتى مع أخيه بستين رجلاً لمساعدة القرية. وبعد ذلك وصل رسول ماردين وبمعيته ثمانية عشر عسكرياً لطرد الأعداء، ولكن من يمكنه تصديقهم.

وعند الصباح هجم أكثر من عشرة آلاف كردي ودخلوا القرية كالجراد وشرعوا بإطلاق الرصاص ههنا وهناك والبنابليون ساكتون ينتظرون وعد القوة العسكرية التي لم تتحرك لمساعدتهم مما أثار فيهم روح الرجولة فزأروا كالأسود وقتلوا ثلاثة من المسلمين وإمرأتين، وأخرجوهم من القرية. أما العساكر فلما رأوا خليلاً يساعد الأهالي وبخوه قائلين: إنك تعمل ضد السلطة بمساعدتك للمسيحيين. فهكذا تغير رأيه هو أيضاً وبدأ يتآمر ضد البنابليين المنتشرين في البساتين. فسار مع بعض رؤساء المسلمين برفقة البنابليين ليقتطفوا لهم مشمشاً وفواكه. فلما تسلق هؤلاء الأشجار رموهم من تحت وقتلوا ستة من أبناء القرية فلما سمع الآخرون الخبر هربوا ووصلوا إلى دير الزعفران: فلم يفتح لهم العساكر الموالجون بحراسة الباب. فانبرى يوسف ابراهيم (بروكي) وتسلق السور الشمالي وهجم على العساكر وهو يزأر بوجههم كالأسد وأخذ المفتاح وفتح الباب ودخل الباقون.

هـذا وقد تمكن من أسـر يوسف ابـراهيم (بـروكي) وابـراهيم يـوسفي ، وجرجس برو وأرسلهم إلى آمد وقتلهم في الطريق. ولهذا السبب لم يعد لأهـالي بنابيل ثقة في حراس الدير فخرجوا إلى كروم الديـر وبعضهم صعدوا إلى حبيس مار بهنام مدة ثلاثة أيام وهم يقتاتون بـالحشائش، ولما شعر بهم المسلمـون دبوا نحوهم كالجراد فقاتلهم هؤلاء وفي منتصف الليل تمكنوا من الخـروج من المغارة ونجوا وذهبوا إلى القرية وعادوا ثانية إلى الدير فتسلّقوا السور وزلّ سبعون رجلاً إلى الداخل. وبعد ثلاثة أشهر رجعوا مع عائلاتهم إلى بنابيل وعاشوا فيهـا حتى يومنا.

ومنـذ سنـة ١٩٢١ اعتـاد هؤلاء عـلى السفـر إلى لبنـان ولما وصلوا زحلة ورأوهـا كقريتهم جميلة وفيهـا ميـاه وبسـاتـين اعتـادوا عليهـا، استقـرّوا فيهـا. واشتغلوا وابتاعوا لهم حقولاً ونصبوا فيها أشجاراً منوعة مثمرة، وغالبيتهم بنـوا لهم بيـوتـاً في هـذه الحقـول وتعلم أولادهـم المهن المختلفـة وافتتحـوا الحـوانيت للتجارة والبيع والشراء حتى ابتاعوا حقلاً بشكـل خاص وبنـوا فيه كنيسـة بإسم والدة الله مريم. معروفة كنيسـة مار جـرجس الشهيد فقـد بنيت سنة ١٩٣٢ في الجهة العليا وهي الآن خورنية معروفة للسريان الأرثوذكس. فليساعدنا الرب.

شبعين (قره حسن)
١٩١٥

هذه القرية تقع في بـلاد آمد. وسكـانها من الأرمن والمسلمين وغـالبيتهم من الأرمن. لمـا سمع هؤلاء بشـروع المسلمين بقتـل الأرمن في المنطقـة اشتدت عزيمتهم واشتبكوا مع مسلمي القريـة ولسان حـالهم يقول: إن كـانوا يـذبحون مسيحيي المنطقة فسـوف يهجمون ولا بـدّ عليهم ويقتلونهم بدورهم. فقبـل أن

يقتلونا لنقتل نحن المسلمين الذين يعيشون ههنا في القرية «شبعين» وهذا ما جرى ففتكوا بهم وأضرموا النار في بيوتهم.

فلما تناهى الخبر إلى مسلمي المنطقة تجمهر كثيرون منهم واشتبكوا معهم فلما ضيقوا عليهم الخناق هربوا إلى قلعة قريبة من شبعين ودخلوها لمجابهة المسلمين الذين تألبوا عليهم.

وقبل أن يلجأوا إلى القلقة بخمسة عشر يوماً كان قد هرب رجلان من مدينة أرضروم التي قتل كل سكانها ولجأا إلى هذه القلعة وقد نزل احدهما إلى بئر القلعة بينما الآخر إلى شبعين كي يجس الأخبار ويأتي بطعام.

وكان مع الرجل الذي نزل إلى البئر بندقية وقبل أن يدخل الآخر إلى القرية صادف الأرمن وهم يهربون بدورهم فصعد معهم إلى القلعة ومنها قاتلوا المسلمين ناسياً صاحبه في البئر. وبعد ثلاثة أيام أحسّ رفيقه بالجوع وناله السأم ولما سمع صوت جلبة عظمى ظن أن صوته لن يسمع إذا ما نادى فأطلق للحال رصاصة تناهت إلى سمع رفيقه فتذكره ومضى للحال وأخرجه ودام القتال ما بين الطرفين زهاء خمسة عشر يوماً.

ثم جَمَع شمل المحاربين رئيسهم مراد قائلاً: يجب أن نخرج من القلعة ونهرب فالعسكر يترصد بنا. أما العجز والنساء والأطفال فلم يتجاسروا على الخروج وسأله الذين وردوا من القرى ولم يكن بصحبتهم نساء وأطفال وكانوا زهاء مائة رجل فخرجوا وحاربوا ببسالة وقتلوا الكثير من الأعداء. وهربوا إلى الجبل الكثيف الأشجار. أما الذين ظلوا في القلعة فقد قتلوا عن بكرة أبيهم بعد أن شحت مونتهم والسلاح وأولئك الآخرون ظلوا يحاربون في الجبل حتى تألب عليهم المسلمون من كل حدب وصوب لكنهم قتلوا الكثيرين منهم أما هم فقد قتل منهم خمسة وثمانون شخصاً وبقي الآخرون يتقوتون من الأشجار وحشائش الجبل وانتقلوا من هناك إلى جبل آخر حيث صادفهم عشرة أشخاص

مسلمين قادمين من أرضروم ولما عرفوهم مسلمين حين قالوا: «إننا لم نترك مسيحياً واحداً في أرضروم»، قتلوهم جميعاً.

وعند الليل توجّهوا نحو قرية للمسلمين وقد لفت انتباههم أصوات العزف والغناء ولما دنوا رأوا جمعاً غفيراً من الرجال وهم يرقّصون فتاتين مسيحيتين عاريتين بينما هم يغنون ويضحكون ويستهزئون بهما، فلما عاينوا المشهد غلى في عروقهم الغضب ورموهم للحال فقتلوا الكثيرين منهم وهربوا إلى أطراف قرية «كفرديس» التي كانت تضم أرمن وسريان والقوا القرعة على من يجب أن يذهب ويجسّ القرية. فوقعت القرعة على المدعو - سركيس - الذي دخل القرية ووقف أمام حانوت مسيحي كان يعرفه، فجاءه للحال أحد الجنود فأسره وأخذه إلى قاد جيشه فسأله: من أنت؟

فقال أولاً: أنا كردي.

لكن القائد لم يقتنع بكلامه وصفعه قائلاً: قل الحقيقة.

فأجاب: في الحقيقة أنا أرمني وكنت أخدم في الجيش وحالما عرفت أن المسيحيين يقتلون هربت وجئت لأرى إن كان أحد لا يزال حياً.

فأُحيل للحال إلى النظارة ينام الليل فيها وأُذِن له أن يشتغل نهاراً. وقال: في اليوم الأول جاؤوني بخبز ولبن أما فيما بعد فلم أنل شيئاً. فقلت في نفسي: إن الموت أرحم.

ولما كان هناك جاء أحد الأغوات وسأل الرئيس أن يقتله بيده قائلاً: «بما أني لم أقتل بعد إنساناً مسيحياً في حين أن الشعب كله قد فعل، أعطني إياه لكي أقتله».

وأضاف الأسير: فأسلمني حينذاك قائد العسكر إليه فأخذني إلى بيته حيث قدم إلي الطعام وقال: أتريد أن آتي لك بامرأتك إلى ههنا؟

وهكذا أرسل وجاء بإمرأته قائلاً:

«إنك من قريتنا وقد أكلنا خبزاً سوية». ولهذا السبب لم يقتله. وبقي فترة طويلة لديه ولما صار أمان وقوانين تحمي المسيحيين المتبقين أتى إلى حلب ولم يعرف ماذا جرى لبقية رفاقه.

كفرديس
١٩١٥

لما سمع مسيحيو هذه القرية بالأمر القاضي بتجميع السلاح من أيدي الشعب، عجلوا بتسليم أسلحتهم أما المسلمون فلم يسلموها لكن المسيحيين لم يدركوا النوايا الخبيثة التي كانت تضمر ضدهم، وهكذا وبكل بساطة فقد قتل المسلمون جميع هؤلاء بمختلف أصناف القتل ولو كانوا أسلموا لكانوا نجوا ربما كما حدث في جميع الأمكنة التي يقطنها المسيحيون. كان الأمر على ما يبدو يشمل الأرمن فقط وليس بقية المسيحيين. لكنهم قالوا: «المسيحي هو هو إن كان أرمنياً أو سريانياً» وهكذا قتلوا عدداً كبيراً يقدر بألوف وربوات من كل الأجناس وفي كل المدن والقرى.

وعلى أثر ما حدث في كفرديس والمصائب التي حلت بالمسيحيين فيها، هرب رجل سرياني يدعى جرجس من بعد مقتل زوجه وأولاده أما هو فلم يقتلوه لكنهم أخذوه إلى الحاكم فلامهم في البداية على إبقائهم إياه حياً لكنه عاد فأرسله إلى قائد العسكر الذي لم يقتله بدوره إنما أرسله مع اثنين من الفرسان إلى كفرديس. فكانا يضطرانه على المشي بالرغم من شيخوخته. فقال لهما: أذكر أن قائد العسكر كان قد أعطاني عشرة قروش ففكا يديه عن الحبل. فقال: كما أن لدي مائتي ليرة في البيت فحلاّ يدي من رباطهما لأستريح وهناك أعطيكما ما في البيت. فحلاّ رباطه وجلسوا قرب عين ماء كانت في طريقهم وأكلا وأعطياه ليأكل وقاما للصلاة، وقد وضعا أسلحتهما على حائط هناك.

ولما رأى أنهما يتطلعان فيه أخذ إحدى البنادق وأطلق على كليهما

فصرعهما، فلما سار قليلاً التقى بأحد أولئك الذين قتلوا أولاده فقتله هو أيضاً وذهب إلى كفرديس مباشرة إلى بيت الرئيس (شيخ الملة) فقتله وإمرأته وهرب إلى كرمه. وأكل عنباً وتيناً وشبع ثم وضع رأسه على حجر ما تحت شجرة لينام.

ولما ذاع خبر مقتل الشيخ فتشوا عليه حتى وصلوا إلى كرمه فألفوه نائماً ولم يجسروا أن يدنوا منه إنما قتلوه بالبندقية.

دير الزور
١٩١٥

على شاطىء نهر الفرات بنيت هذه المدينة الكبيرة والقديمة تحت إسم مار زعورا وفيها الآن ثلاثة كنائس لكل من السريان والأرمن والكاثوليك ومسيحيوها ليسوا بالكثر.

وتفيدنا الأخبار على أن ميسحيي بورصة وسيواس وسواها من مدن كيليكية وقد بلغ عددهم مائة وستين ألفاً صدر أمر يقضي بإجلائهم من بلدهم إلى مكان آخر (دير الزور). وقد أظهر لهم حاكم المنطقة رأفة كبيرة لكن لم يطل أمدها إذ صدر أمر بنقله إلى جهة أخرى وتولى عوضاً عنه من كشر فوراً عن أنياب الذئب وأسلم هذا العدد الكبير من الأرمن إلى أيدي ضباط السلطة ومنهم إلى أيادي الشراكسة الذين ذبحوهم عن بكرة أبيهم كالنعاج على ضفة النهر ومزّقوهم شر تمزيق كمن يقدمون قرباناً لله.

ومن بين الذين هربوا بعض الطفلات الصغيرات والأيتام الذين إبتاعهم القيّمون على الميتم الأمريكي في ماردين.

رأس العين أو (قطف الزهور)
١٩١٥

مدينة شهيرة في برية ما بين النهرين ينبع منها نهر الخابور وهو النهر الثالث فيها. وكانت تُعرف سابقاً بإسم (قطف الزهور) بسبب الزهور التي كانت تنمو

هناك ويقطف منها العابرون وكان فيها إحدى وعشرون مدرسة كل منها تعلم مواد مختلفة وكانت مراحاً للطلبة الآراميين وللآخرين الذين يؤمونها من كل قطر وللفلاسفة الكبار والأطباء والمؤرخين الشهيرين.

ومن بعدما آلت البلاد ليد العرب، تضاءل فيها العنصر الآرامي حتى عام ١٩١٥ م حيث قلّ فيها سكانها السريان. وكانت السلطات في آمد وماردين ترسل إليهاالنساء المطرودات وقد أربى عددهن على المائة يضاف إليهن الرجال والأطفال.

أما نائب رأس العين فقد أظهر شفقة ورأفة كبيرين بهؤلاء ولما أدرك أن الشراكسة يتحينون الفرص للإنقضاض عليهم أصدر أمراً بعدم إيذائهم حتى أنه أمر بضرب ثلاثة من الجركس حتى سالت الدماء من أيديهم ورجلهم كي يكفوا عن أعمالهم الشريرة.

وفي شهر أيلول حينما جاؤوا بقفلات نساء مدينة سيواس وبقية المدن الأخرى صار عددهن نحواً من ألف وخمسماية إمرأة وكلهن عاريات حافيات يصرخن الماء الماء ولما شربن من ماء النهر مات منهن أكثر من مائتين.

وفي اليوم التالي سلّموا الباقيات إلى عساكر دير الزور فقتلوهن برمتهن.

وبعد هؤلاء جيء بأكثر من مائة وسبعين ألفاً من أزمير وقونية وأنقرة ومرعش وعينتاب ومرسين ودريتول وسواها وقتلوهم كلهم وذبحوهم على نهر الخابور ما عدا النسوة اللواتي أسلموهن والنساء والبنات اللواتي خطفن. وهذا ما خبرنا به الناجون من هذه المصيبة الكبرى.

آمد (ديار بكر)
١٨٩٥

آمد هي إحدى أشهر مدن ما بين النهرين. لما ملك «بوكرو» الثاني ملك

الـرها الآرامي سنـة ١١٢ قبل الميـلاد دخل سـويـرك ووبـران شهـر (غـوران) وماردين وآمد في تخوم بلاده وقد أرّخ هذا الخبر إبنه «معنو» الثاني عـلى لوح من الحجر بالسـريانيـة وبه يبـيّن أنه سنـة (٩٠) قبل الميـلاد أقيم جسر عـلى نهر آمد ودعاه بإسم أبيه (دير بكرو) أي دير بوكرو.

ونقـول بإختصـار أن العذابـات والمصـائب التي حلّت بـالمسيحيـين عـام ١٨٩٥ فاقت التصور فقد فتك بهم الأكراد كذئاب مفترسـة فتبعثروا في البلدان والجبال ولاذوا واستتروا بالمغائر وبشقوق الأرض كـل هذا من أجـل ألا يكفروا بـالمسيح ربهم ـ نـاهيك عن النسـاء والبنـات والعـرائس اللواتي إقتُـدن بـالقـوة وأُرغمن على الـرجوع عن دينهن. ومن شـدة العذابـات والمخـاوف والإرهـاب فاضت الأرض بالحزن والألم والبكاء والنحيب.

في ذلـك الزمـان دعي البطريـرك عبد المسيح ليمثل أمـام والي آمد وقـد دامت رحلتـه يومـاً ونصف اليوم، ولمـا وصل رأى المسلمـين يتـوثبـون ويقتلون إسمياً الأرمن إنما فعلياً كل المسيحين بدون تمييز فحلّ الخوف في قلوب السريان والكاثوليك والكلدان وجميع مسيحيي آمد.

للحال أرسل البطريرك برقية إلى سلطان إسطنبول ورسـالة إلى والي آمـد بهايتساءل عن العلّة التي لأجلها يُقتل السـريان وجاء بسرعة أمر يحـظر قتل كـل من ينتمي إلى الأمة السريانية.

وبناء عليه صـار البطريـرك وسيطاً وكنيسـة والدة الله (مـريمانـا) صارت ملجأ لكل المسيحيين كما فتح البطريـرك عنابـر البطريـركية وقـدم بسخاء المؤمن المساعدات للناجين والعـلاج للمرضى كـما أرسل الـوالي قوة كبيـرة من الجيش لحراسة السريان وأرسل خبراً برقياً إلى ماردين ومديـات والجزيـرة يأمـر به عـدم المساس بالسريان.

أما الأرمن والكاثوليك والكلدان الذين لجأوا إلى الكنيسة فقد نجوا وقدم إليهم كل ما كانوا يحتاجونه.

وبهذا العمل زاد إحترام الوالي للبطريرك وصارت لديه حظوة كبيرة بسبب الجدّ والغيرة والرحمة التي أظهرها في ذلك الحين للمساكين والمظلومين.

في العشرين من تشرين الأول سنة ١٨٩٥ صدر أمر من السلطان عبد الحميد بقتل الأرمن ولما وصل هذا الأمر تحفز الأكراد وتسلحوا لقتل جميع مسيحيي آمد وسيواس وقرى نهر دجلة وسواها بأبادة الكثيرين بدون رحمة ونهبوا الأموال.

أما القس عبد الأحد القطربلي ففي يوم الأحد السابع لمجيئه قتل مع الأخرين بينما إنتشر البعض في الأودية وحفر التبن نهاراً ومدبرين في الجبال ليلاً.

ولما وصل الخبر إلى مديات أصاب المسيحيين خوف عظيم. فذهب حنا سفر وابن عمه شكرو إلى الحاكم وبَسَطا أمامه الموضوع: إننا نحن السريان خاضعون لأمر السلطة ولا نؤمن على أنفسنا من الأكراد المحيطين بنا. فأجاب الحاكم بأن لا أحد بإمكانه أن يسيء إليكم فالأمر لا يعني السريان. ثم طمأنهم بكل ثقة: لقد وصلني أمر من والي آمد. فرجع هؤلاء فرحين يشجعون مسيحيي آمد كما أرسلوا الخبر المشجع إلى القرى. ورئيس الألف أيضاً أكّد لهم: أن القلعة هي لحماية ونجدة السريان بعد أن ثبت لنا أن الأمر السلطاني لا يشمل قتل السريان.

بدأت الأحداث المحزنة إذن في العشرين من تشرين الأول عام ١٨٩٥ حتى نيسان من العام نفسه وفي أماكن عدة.

أما في جبل الطور إبتداءً من مياه الحصن (دجلة) وقراها حتى جبل الأزل والجزيرة، ومروراً بضفة دجلة وقرى مديات بأجملها وماردين فلم يحدث ضرر. وكان الكهنة والشمامسة والرهبان والنسّاك والشيوخ يواظبون ليلاً نهاراً على الأصوام والطلبات مبتهلين إلى الله متضرعين كي يَمُنَّ برحمته..
وكانوا يبكون ويندبون إنقطاع النواقيس وأصوات الترتيل والتهليل من

الكنائس وسفك دم أبناء المعمودية وكانوا يعاينون الكنيسة وهي تقرع صدرها وتسأل الرحمة من الله حين ترى إلى جثث القتلى والأطفال ملقاةً على المزابل ودمهم يسيل كالماء وقد بارحت الشفقة قلب البشر، وعلى توالي الأيام والشهور أحرق المهاجمون كل شيء ونهبوا الصلبان وأدوات التقديس وكان الاعداء يجدفون قائلين: أين إلهكم أيها المسيحيون!!

ميمر

للقس أفرام المدياتي إبن ميرزا شكرو بيت سفر
مذبحة المسيحيين عموماً سنة ١٨٩٥ وفي بلدتنا غرزان خصوصاً

أغمرني بأنوارك العظيمة أيها القدوس
فأتحدث عن آلام أخوتي
بعدما أمسينا يتامى مظلومين
لا من يرأسنا أو ينبّ عنا أو يسوسنا.

أرفدني بكل أشكال المراثي أيها الكامل الممجَّد
تمزق الروح بأنغام الألم والحسرات
على مذبحة المسيحيين ورواياتهم المدمّية
فجباههم معفَّرة في التراب كالحيوانات المطروحة.

أيها النبهاء، أبكوا وتألموا واندبوا
فقد سقط تاج السريانية ببأس شديد
نوحوا على التلال والجزر والوجع يعتصركم
فقد توشحت الحريرات بالسواد وحل ملكوت الرعب.

أين يا أحبائي، يا أخوتي في السريانية
أين الجمال ونبل الوجوه وإشراقتها

فقد صفعت أمواج الكفر العاتية
أبناء الكنيسة والشعب المسيحي المخلَّص.

صدر عن ملك القسطنطينية[1] أمر
شَمَل كل حدود أرمينيا الكبرى
تأملوا يا سامعيّ في هذا الشعب المذبوح
ومن نجا فإلى طامةٍ أكبر

هذا الأمر الذي أصدره ملك بيزنطية[2] الكافر
ملك الدنيا حامل لقب الروماني[3]
هو كالأمر الذي أصدره أنطيوخوس المقدوني [4]
بحق الشعب الإسرائيلي.
سنة ألفين ومائتين وسبع، [5] الكبيسة،
صدر أمر الملك المجرم بالقتل
فصبغ بالدم جسد الشعب الطاهر
وانسلّت الأفعى في سبع مدن ومناطق.

أبناء إسماعيل، أبناء الكفر الأشرار
كالذئاب متعطشون للفساد والفجور
فاسمعوا ما صنعه أبناء الضلال
بأبناء الكنيسة أخوتنا الأحباء في السريانية.

يا أخي هلم وانظر البنات الشريفات
يُسَقن مرغمات إلى الضياع

---

(١) ملك أي سلطان
(٢) بيزنطية أي القسطنطينية. إستبول اليوم
(٣) ملوك الروم كانوا يحملون هذا اللقب وليس العثمانيين الذين ورثوا ملكهم
(٤) السلوقي
(٥) يونانية. أي سنة ١٨٩٥ ميلادية

ونظّم ميمراً يصطخب فيه الأحزان والمراثي
والصراخات والندب والحسرات.

أيها الكامل الذي يتحمل وقر الآلام عن شعبه
إرثِ معنا الآن إبنة الأمم
وقد رذلها الجيران والأصدقاء
وصارت هدفاً للسخرية والاستهزاء.

طفح كيل غلاظ الرقبة على المسيحيين
تناسى المسلمون الجيرة والصداقة
وتلبستهم الحمية والكيظ الشديد
ذبحوا الرجال، خطفوا النسوة، مزقوا الأطفال.

إقتادوا النساء بالقوة وسيوفهم مشرعات
وواقعهنّ الكفرة العتاة وقد مات الضمير
فليس هناك من منقذ أو من معوان
حيث بقر أبناء الهلاك بطون الحوامل.

ساقوهم بحد السيف
وكالطيور المستوحشة، الهاربة إلى رؤوس الجبال
كالسيل يصطرع بأسه فلا يعفي على أثر
كأمواج بحر مضطرمة فوق نيران

رجالاً ونساءً لاذوا بالمغائر
على أثر مطاردة الفجار الخونة لهم
وسقط الناجون تحت نير العبودية
وأمسى الأثرياء عراةً في رؤوس الجبال.

جثث الأحرار فوق المزابل

من فيض ظلم أبناء الظلمة المهووسين بالشرور
بلغوا وطرهم من الشريفات بلا وجل
ولاذ الناجون كالعصافير برؤوس الجبال.

فهرعتُ لدى حزقيال أسأله
وقد اضطجع على جنبه مدة ثلاثمائة يوم متواصلة

إحتجاجاً على إثم بني إسرائيل
منادياً بالثبور حتّى لا يجازوا شراً بشر.

وها أنا يا إخوتي أقصّ حدثان هذا الزمان
وقد أذهلتني المصائب والإستفزازات التي حلّت بنا

هل من يعزينا في أحزاننا
والإهانة التي تعرض لها أخواتنا وإخوتنا الأحياء.

قتلوا الكهنة وكل الصف الكنسي
فاقفرت الكنيسة من الترنيم الروحي
زرعوا الفوضى والخراب في كل النظام القدسي
نهبوا الكنائس وحطموا جميع الصلبان.

نائبة خاطفة، نادى المنادي في كل مكان
لقد تحققت نبوة نبي الآلام حين رثى:
ستقوم أمة على أمة في كل صقعٍ
وتنكسر الجرة على الينبوع.

يد الرجز، يد الملك الكافر المسكون حقداً
تنشر الرعب والرعدة في كل مكان، كما قيل
يا للإنقضاض المفاجىء ذي البأس الشديد
الذي حللّه الملك بقراره المجرم.

نظرت ولم يكن من مهرب من هذا القضاء
فطرحنا في سعير العذاب كمياه المرجل
حزناً على أخوة تكسروا كالعيدان
وصارت جثثهم لقمة سائغة للحشرات.

أمست العذابات خبزنا اليومي
فقد فتكوا بالوجهاء والرؤوساء
بالاغنياء النبلاء وبالمساكين،
وطعنوا الحوامل بأطراف السكاكين.

تأملوا، يا ألي الالباب في الزمن القاسي والدهر الفاسد
صار المسيحيون هدفاً للسهام اجمع
كدسوهم فوق بعضهم البعض وقبل الشروق
تناوشتهم الطيور والحشرات.

انتشر نبأ الحرب والمناوشات في المسكونة
كي تتم شهادة البشرى المحيية
إنه سيحدث في العالم اضطرابات وضيق
وها هي اليوم تحاصرنا من كل جانب.

ذاع يوم السبت في كل المسكونة خبر
الذبح والقتل في ارمينية وآمد العظمى
فارتعدت الفرائص وتلاشت القوى لوقع المفاجأة
وجرى الذبح والقتل في كل مدن المسكونة.

ربنا يسوع، دلنا في الكتاب المقدس،
أن بداية الهروب ونهايته ستكونان يوم السبت
أما من نجوا من الذبح فقد صعقهم الصقيع
فتمت كلمته عن راحيل وبكائها الموجع.

اليم واليابسة، الصخور والجبال والهضاب
لبست الحداد وتوشحت بالحزن والبكاء
منتحبة على سقوط ابناء الكنيسة
وانكمشت الألوان في كل المحاسن.

ربنا يسوع، لا تترك الامة الصغيرة
بين ايدي الكفرة ابناء الدنس المقيم
نحن السريان خير أمة أخرجت للناس
فاحمها تحت اكناف صليب نورك.

حينما تأملت في الكنيسة، عروس الابن،
الفيتها واقفة بين الامم مطأطأة الرأس.
المتسامية على كل ارجاء الارض
تسربلت اليوم بالحزن والبكاء بل بالخوف.

كل من بلغت مسامعه اخبار زماننا السيئة
وما جرى في المدائن، اضطرب فؤاده
وتراخت اوصاله موهناً كعليل
وتفتت قلبنا من نكبة البشرية.

تنوح على بنيها ولا من معز.
في تلك الأيام تألق مجد بطريركنا
فالذين هربوا إلى مريمانه نجوا
بحماية الحبر العظيم.

لو لم نكن أجنة في البطون
لكانت نهايتنا تعيسة
نحيلين كي نستطيع الدخول في خرم ابرة.
إلى من نذهب كي يحمل عنا عبئنا.

ألا ليت هذه الأيام لا تبقى في الحسبان
ليتها لا تُسجل علينا بالمداة والقرطاس
حتى الواحد من الف الذي هرب ونجا لم يجد معونة
وأصحاب الثروات صاروا معدمين.

نظمت وجمعت هذا الميمر من أجل البكاء
كي ينفطر قلبنا من النحيب المتوجع والحسرات
حتى نمضي ونبكي نحن أيضاً في الساحات
فالاحرار صاروا طعاماً للطيور.

ضربوا ضربة قاضية امتدت من الاصبع إلى الرأس
البعض قتلوا وبعضهم طردوا وهكذا دواليك
أما في الشمال فقد ذبح الجميع بزخم لا يرتد
وتناثرت الرؤوس كزرع القي على قارعة الطريق.

فتح مار اغناطيوس مخزنه
عبد يسوع
انقذ المسيحيين وحماهم
وحقق النصر المشرف بقوة الله.

ها هو يُقبل الآن نحو الاسرى من شعبه المختنق،
ويكتب رسالة للحاكم المدعو انيس
فيوعز هذا للبطريرك أمراً مستعجلاً:
«وكِّل حارساً ومسؤولين عن الجمع المحاصَر».

وقعنا في العالم، في فخ ابنائه الاشرار
فصرعتنا الامم البربرية.
الوالدات ينحن على بنيهن بوجع
فمن لا يذهل لصوت البكاء الذي يهز المشاعر.

نار الحمية يسعرها الحقد كالأتون
هاجت حر الوحش من القفار كالغبار
وكما قتل قايين هابيل سمع الشاعر،
في عدن، صوت النفير.

طرقتُ باب ملفان الحق يعقوب النابغة
فكشف لي عن جزء صغير من تلك الروح
وأشار عليّ باصبعه، أنا الصغير،
ليدلّني على نبي الأوجاع وصدى مراثي الشعب الصغير.

فاستقيت من النبي ارميا
علامات اوجاع الخبر المأساوي والجنوني
وأردت أن أقص على مسامع النجباء
شراسة الخطب المذهل.

هلم نجس الآن الوجع الذي تحمله الشعب
على يد ذلك الشعب الظالم القاسي الفؤاد
سعّرت السلطة الألم بعنف
فاطلق الآهات من شدة العذاب المنقطع النظير.

حلّت المآسي في نواحي ارمينية
بأمر سلطان مملكة الروم
وفي جميع المدن وعند تخوم العمادية
كل من قتل كان من المؤمنين.

نزل ملاك الموت في المسيحيين من كل القبائل
أبيدوا وسُحقوا في كل الارجاء
والقيت جثث ابناء الأمّة في الانهار
فتوشحت الجبال العالية والمرتفعات بالسواد.

كل من رأى وسمع تلبسه الخوف
كالسمك في السنارة كانوا،
وكصياد يخرج صيده بحركة بارعة
قصفوا الجثث واراقوا الدم كالزرع

يقظين، تفجؤنا حركة الريح
تُجبى منا قوانا وعزيمتنا كجزية
صرنا اعجوبة لكل امم البشر
ولا من يعين أو يعضد.

صدر أمر من ملك بيزنطية، رئيس
الممالك، بالحكم على المسيحيين.
وصل المجانين إلى أرض أرمينية
واذاقنا الأكراد مر العذاب.

غسلوهم بدمهم القاني ذاته
وعلى الخصوص ابناء المدينة وجوارها
بطلت الزراعة لدى المزارعين والفلاحين
فقد ساقوا بالقوة ثيران فدادينهم.

نصبوا هذا الفخ بحجة الشعب الارمني
فسقط كل المسيحيين
في الهوة التي اصطنعها المسلمون الاشرار
والناجون كانوا من السريان القدماء.

تحملنا الاهانة من الجميع والسخرية.
ولم يعد لنا قيام وقعود بين البشر
الجميع قُتلوا، الجميع ذبحوا، فوق التراب
انتهبنا كالعصافة التي تذروها الريح.

سيق يوسف، رئيس الوجهاء، إلى الحاكم،
اقتُلع رئيس التجار كالبلوطة من قمعها
خرج من بيته كما الجنين من البطن
وقد امست حوانيته خراباً وكومة من حجار

رضيت هذه الأمة بالبليّة كما يجب
لكن تلك المأفونة لم ترضَ
كيف تقبل بعشرة آلاف، يا مسحوقة،
وجميع ابنائك مختبئون في المغائر.

وصل بأس العناء والصراع إلى الرأس
وكما تنبأ ابن عاموس في الكتاب المقدس:
جرح خبيث من رأس الاصبع وحتى المخ.
وخلت جميع الكنائس من صوت الناقوس.

أصدر رئيس الكفار امراً في المعمورة
فحلت الرعدة والرعب في الرجال والنساء
فزعوا من هذه الضربة العمياء
كعريشة صفعتها ريح السموم فذوت.

مضطرمين بحقد متقد كالنار
حقد حميتهم يضفر الدخان جديلةً
وصرنا في رؤوس الجبال بؤساء، مساكين،
وصرنا سخرية وهزءاً لكل العابرين.

قطعاناً قطعاناً هجمت الحمر الوحشية على
المسيحيين وبشراسة الحقد والغضب
فصرنا لا مقتنى ولا كساء
تحوّل لوننا البهي كالاحباش.

هلموا يا اخوتي نحزن وارميا
فقد تكسرت الجرة على الينبوع بالكامل
وقامت امة على امة بالفعل
وكما قال داود زال الصالحون المؤمنون.

ولج الكهنة والشمامسة المعابد
فانشب الرجال والنساء، الاولاد الاحباء والفتيات،
يؤدون معزوفة النواح والالم والمراثي
وبطلبات كلها توجع وحسرات.

من مذيات إلى كربوران لم يصابوا بأذى
بقوة الله وصلوات الام البتول
من بيت زبدا وحتى الحصن لم يُعكَّر صفوهم
وكذلك الشعب المبارك في طور عبدين وكل الكورة.

سمع الله صوت الطلبات والصلوات
ومن مراحمه ملأ قلوبهم بالفرح
فهم الحشد المخلص وخير أمة أخرجت للناس
وقد زودهم المسيح الملك بأنعامه.

من لا يندب امة السريان الفاضلة
التي رملتها المعرفة والعلم
عروس الملك وقد جعلها قدر التشريد أَمَةً
فزاغ عنها ترتيب الرسولية.

أبناء الدنسة الفاجرة.
سطوا على ابنة الاحرار، عروس الملك الاصيلة
وبقسوة فرعونية كالتي تعرض لها العبرانيون:
قُتلوا جميعاً ويبقى وجه ربك.

الويل كيف دُكت مدينة الملك العظيم
الويل لمن تدعى اورشليم، كيف رُجمت
انحطت أبوابها، اندثرت بيوت الشعب الفاضل
أصاب سهم مسموم وجهاءها ومسؤوليها فقضى عليهم.

وددت يا اخوتي الحديث عن بيث نهرين
موطن أبي ابراهيم الداخل بالامجاد
أم الملوك والمدائن وكل العواصم
زينة العلوم والمعارف.

واليوم يلفها الحزن والألم
وتحققت ما جاء على لسان الانبياء
راحيل تبكي على اولادها
وهذا ما جرى فعلاً في مدينة الرها.

أنّى لي ما يكفي من البكاء والعبرات
على بنيها وكهنتها المتفقهين الذين افناهم السيف
قطفوا الاغصان كلها فاغتلموا
توقفت التجارة ولا من سابلة في الشوارع والأسواق.

سقطت أبوابها، خربت أسواقها بحزن اليم
على يد الرجز، ملك الروم الوثني
وصارت خواء ومرتعاً للحيوانات
سوّاها الكفرة كما تعصر العناقيد.

سدّوا الأسواق بوجه قاطني مدينة الرها
معسوهم كالعنب في المعصرة
وقطفوهم بحد السيف في السنة الكبيسة
عام الفين ومائتين وسبع يوم رأس السنة.

بلغ عدد القتلى الذي صرعهم الاشقياء الخبالى
وبحساب الجزية على الرأس،
اثنى عشر الف ارزة ونخلة
وانحطت قوى المشاكسين المتغطرسين .

أيضاً من تأليف
القس أفرام بن ميرزا شكرو سفر

أبكي وأزيد في البكاء	على الأخوة والأخوات
وانشر الألم والرثاء	على كهنة المعابد
فصلوا الأطفال عن الأمهات	اللواتي يزارن في الساحات
القوا الأطفال في الأنهار	وأجهزوا على الفتيان بالبنادق
صعدت حمر الوحش	لتنهب المدن
سبوا النساء والعرائس	وطرحوهن في الساحات
قتلوا الرجال بلا رأفة	سبوا نساء بلا عدد
تنبّه الألم والضيق	في الأمة الكريمة العيش
يا إبن يسّى نظم الحاناً	عن إبنة الملك والشريفات
إنها متشحة بالحزن والحسرات	وافتقدت الأفراح
عليك يا أرميا بمراثيك	وامزجها الآن بحسراتنا
على الأحرار وإبنة الأحرار	وعلى سبي البلاد
الأخوة المحبوبون والأخوات	صاروا طعاماً للطيور
ونفاية على المزابل	وشتيمة على كل الشفاه
الأمهات ملتاعات	تأخذهنّ حسرات هائلة
تذهل السامعين	وكان ذاك الخبر المفجع
حينما صدر الأمر	من القسطنطينية
بذبح شامل للشعب	من سيواس وحتى بدليس
ومن هناك إلى بيت نهرين	فقتلوا الرجال بلا رحمة
وخدشوا حياء النسوة	وأذاقوا الأطفال الويلات

الـرهـا مـديـنـة الأبـاء المـوقـرة الـشـهـيـرة
الـوافـرة الـبـركـات والـغـنى والـكـنـوز

صـارت خـاويـة خـربـة وهـدفـاً للتشفي والسـخـريـة
ذُبـحـت كـاضـحـيـة وجـرى فيهـا النهب والخطف

قـتـلوا الـرجـال الـوقـوريـن وسـاقـوا النسـاء الجـمـيلات
كـما قـتلوا الأولاد الـصـغـار ولـوثّـوا جمـال الـنـضـريـن

قضـوا عـلى الحكـماء والفهماء وعـلى المسـاكـين والأغنـيـاء
وتركوا الأطفال في رؤوس الجبال قـتـلى منتهبـين متبعثـريـن

إمـتـزج الـدم والحليب مـعـاً شـووهـما بـقـسـوة همـجـيـة
بـأطراف السكـاكين أخـرجوهـا وأفـرغـوا الأجـواف أجمـع

تـراني عـاجـزاً عـن إحصـاء ضـربـات سـوط زمننـا الحـزين
فـقـد أتقـن أبـنـاء الـظلام مـهـنـة الإيـقـاع بالمسـاكـين

يـأتمـرون في الـسـرّ مستعـدين لاقتنـاص الفـرص
الـعـفـونـة زيّهـم المـفـضـل ولا رشـد لهـم ولا ضـمـيـر

لا يـكـفّ إبـليس المـخـادع محـب الـشـر عـن رفـقـتـهـم
فـيصلينـا بهـم نـاراً حـامـيـة عـلى محـك الإختبـار الجهنّمي

أبـنـاء الأفـاعـي والـشـرور بئس فـعـلـهـم الحـيـواني
حين استشاطوا، فاقدي العقل ضـد الـشـعـب المـسـيـحي

الأفـعـى والحـيـة والـصـلّ امتزجت معاً ودفعت بها الجريمة
ملتهبـة بنـار الغضب الأهـوج ضـد الأحـرار أبنـاء الـوعـد

ضـرب الشيـطان المسيحـيـين ضـربـتـه بـواسطـة أبناء جنسـه
وبهيجـاء الأكـراد القـاسـيـة وبـأمـر المـلك الـرومـي[1]

---
[1] العثماني .

العاصفة الشيطانية إقتلعت جذور الزيتونة
فيا لاستعبادها الفرعوني ويا لاندفاعها المقدوني
يا زماننا الأخير المضعضع وقد سقطنا في الفخ
يصلينا الشعب الكافر الشرور والمظالم
فلنعرّج على بيت سروان وعلى منطقة غرزان
وعلى نواحي بيت ردوان نحو الدير المكنّى قيران
لقد أُدخِلنا فرن التجربة تحت ضربات السوط الأليمة
وكان التعذيب الفاحش والبرد والجوع والضيق
فعله الملك إبن الشيطان صاحب السبي والقتل والطاعون
فانسلّت حياتنا بضيق شديد من الغيمة الشريرة

ولم يبق سوى الباكين على الضياع المباركة
الأمنة الوادعة الطيبة والآن صريعة خربة مطوية
النهب والقتل في بيت شروان وخراب كل الكنائس
وجميع أديرتنا قتلوا إخوتنا وسبوا أخواتنا
متمرسون على الفتك وحرق الأخضر واليابس
نجسون أبناء النجاسة ولا حدود لأذاهم
نهب وسبي في غرزان على شعب أمتنا
هربوا لاجئين إلى بيت قيران خالي الوفاض
إندفع جميع الأكراد كحمر الوحش، كالبرابرة
هؤلاء الأشرار الحمقى أفسدوا السريان ودنّسوهم
الأرض مأوى للأشرار يدبون عليها كالديدان
في عفن الآثام والشرور تلعب بعقولهم غريزة العدوان

يفحشون ويتغوطون الفحش ... في الأركان والزوايا
حركاتهم حركات فحش ... وأغانيهم أغاني الدعارة

المؤمنون في الأرض، المتواضعون ... الهادئون الوادعون الرقيقون
هم المقتولون المذبوحون ... كإسحق في حياته المباركة

ها هم مدعوون إلى النور المنعم ... والمأدبة الروحية
عند الملك السماوي ... بفضل رحماته وحنانه

يرتكب الكفار الجرائم ... لا سيما في هذا الزمان
ضدّ الأمة السعيدة ... ممعنين فيها دماراً وسفكاً وجرائماً

الأمم المتسّولة البطّالة ... دنّست زينة البتولات
المنحرفون المخربون المعوجّون ... المخادعون كالثعالب

إنكسرنا في دنيا الشقاء ... جوعاً وعطشاً وضيقاً
على يد أبناء الوثنية الخونة ... أولاد الشيطان وزمرته

المسيحيون مبغضون في كل مكان ... على مثال رب الجنود
أنبياء إبن الأنوار ... كلهم مطعونو الجنب

احتملوا مع المسيح الإبن ... على يد الشعب الحقير
كالرسولين بطرس وبولس ... وكالشهداء الذين أسلموا الروح

عنف الأحداث يثير الحيرة ... وها قد دنا زمن الظلام
كما جاء على لسان النبوة ... وحان إنتصار الشرير

بالقتل والنهب والتجبر ... على الشعب المسيحي
إشتد ساعد الشر في الأرض ... حرباً عواناً وإنتقاماً

ولا يزال الشعراء ... يشيرون إلى القبور التي تعترضهم
على أنها من فعل الوطاويط ... مصاصي الدماء

هـاجـت في الأمم الـغـريـبـة نار الضغينة ضد الشعب المسيحي
هؤلاء الأعداء الأشرار الجاهليون الـنـاقـصو الـعـقـول
صاروا أداة طيعة لملك الروم[٢]

لقـد أفادت النعمـة من الفرصـة وأجـزلـت الحـب لـبـنـيـهـا
الـذين نالـوا إكليـل الإستشهـاد بـعـزم الإيـمـان

يـا مُـحْـضِـر هـذا المـيـمـر إطـوِ هـذه الجـرائـم
واجعـل لي نصيبـاً في ملكـوتـك مـع الأبـرار أبـنـاء المـوعـد

نـعِّـمـنـي بـحـيـاة هـنـيـة واتـكـئـنـي مـع إبـراهـيـم
واحـضـرني إلى فـردوسـك ولـذِّذني بمـأدبـتـك

أنـا العبد الشرير الغير النـافـع المهـمـل الحـقـير والتـافـه
وادعـى بـالـقـس أفـريـم بـأعـمـالي الشـريـرة.

(٢) السلطان العثماني .

ميمر

القس يوحنا (حنو) العينوردي حول المذبحة التي جرت في مناطق أرمنية ٢٠ ت١ عام ١٨٩٥ م.

بإسم الآب علّة كل العلل
والإبن فارز العطايا كلها
والروح الذي يعطي المعرفة للفهماء
ثلاثة أقانيم لها السجود.

ها أنذا أبدأ بكتابة ميمر للمرنّمين
كي ينشده في كل حين الأطفال والصبية
ويدركوا من ورائه أفعال الأشرار الشريرة
أي الكفرة المجرمين والحاقدين.

هيا إلى الألم، إنه زمن الألحان المرّة
من أجل المسيحيين الذين تشتتوا في كل صقع
والشريفات اللواتي أرغموهن على إعتناق الإسلام
وعلى العار الذي لحق بالنساء والعرائس.

اللهم يا حنّان ويا رحوم
هاتِ من لدنك عقلاً وفهماً وتعبيراً

كي أقصّ وأنظم هذا الميمر
عن الضيق والمذابح التي جرت في زمننا.

أنت يا بحر الرحمة والجود
أيها المستجيب لسؤلنا
ساعدني كي أسطر ميمر الرثاء
عن هذا السبي المترع بالأحزان والولاويل.

سنة ألف وثمانمئة وخمس وتسعين
مسيحية، من الحساب القويم،
إنطلق البطريرك من مدينة ماردين
وبعد مسيرة يوم ونصف وصل إلى آمد في أوان صلاة الساعة الثالثة.

وعلى أثر وصول البطريرك عبد المسيح
هجم المسلمون على الأرمن واعملوا فيهم سيوفهم
فحلّ الرعب حالاً في الآمديين
والكلدان والرومانيين والسريان.

فاستنفر البطريرك المذكور
وسطر رسالة إلى ملك ملوك الروم[1]
وإليك ما جاء في رسالته بالقول الحق:
نحن السريان نلوذ بسلطة الدولة.

فكتب ملك الملوك على عجل رسالة
إلى البطريرك وفيها أوامر
بألا يُمَسّ السريان بأذى.
فصار البطريرك ملاذاً للمسيحية.

---

(1) العثمانيين

وصارت مريمانة كسفينة نوح
وكالكبش الذي فدى إسحق من الذبح
فكان البطريرك عزاء للمسكين
وخشبة خلاص للغارقين في اللجج.
حينئذ تشدّد الوالي نفسه
وأسرع كالبرق الخاطف
إلى ماردين ومديات والجزيرة[٢] ينهي
عن الإساءة إلى كل من ينتمي إلى السريانية.
فتح البطريرك مستودع أنطاكية
ووزع الصدقات على كل فقراء منطقة آمد
وعلى الذين تمكنوا من الهرب من سهل أرمينية
ولا يسعني أن آتي على ذكرها بالتفصيل.
كان للبطريرك نفوذ
لدى الوالي
لقد قاتل البطريرك الثور البري
ونتبارك ولا نزال بصلاته.

اللهم أغفر لي الحاحي ولجاجتي
أنرني بنورك
والقليل منك يكفيني
كي أنظم هذه المراثي.

لا أعرف من أين أبدأ وماذا أقول
على ما جرى من سفك دماء في زماننا
لكنني سأهلل ايضاً من أجل مراحمك
وارفع المجد لإسمك المعبود.

(٢) جزيرة إبن عمر

لبست الخليقة الالم العظيم والحزن
على الخوف الذي سرى في الامة السريانية
قتلوا الرجال واستاقوا بالقوة
النساء والبنات والعرائس إلى بيوت الكفر.

عام الفين ومائتين وسبع حسب تقويم فيلبس اليوناني
في العشرين من شهر تشرين الاول
صدر امر عن سلطان رومية[1]
يقضي بقتل كل الشعب المسيحي.

فتدجج الكفار بالسيوف والخناجر
وهاجموا مدينة آمد
وفتكوا بالرجال والنساء والعرائس
فصارت كل المدينة مأتماً ونواحاً.

نهب المسلمون الذهب والفضة والأواني الثمينة
وكل الدواب والماشية
وطردوا المحاصرين إلى رؤوس الجبال عراةً
يقتلهم الجوع والضياع.

لقد ظهر زيفهم وخداعهم
حين ارادوا
من وراء مهاجمتهم للارمن
أن يفتكوا بكل المسيحيين.

وقد تم ما جاء في البشارة
أنه ستقوم امة على امة في آخر الأيام
وستُكسر الجرة كما قال ارميا

(١) القسطنطينية.

وتبكي الارض على المعمورة كما قال اشعيا.
هذه الاحداث قد جاء ذكرها على
لسان النبي دانيال ابن النبي
وزاد عليها اقليميس الرسولي
وكذلك الربان سركيس في سباعياته الفذة.

واهاً عليك أيها الزمان ذو القدر الأعمى كالخلد
أوقعتنا في المخاض كالوالدة حين تلد
شبيهين بعريشة صفعها البَرَد في نيسان
وهذه الأمة تقشرنا بقشارتها.

أفٍ منك يا دهر الأنباء المأساوية
وقد أطغيتنا بالشعوب المفترسة أسراباً أسراباً
فبينما كنّا ننعم بالحياة الهانئة
بغتتنا فجأة قوات الأمم الشهوانية.

يا لك من زمن السوء المحمّل بكل المحن
وقد فعلت فعلتك بكل الشعب المسيحي
لم توفّر منهم سوى أواحد
ومن نجا طردوه بالقوة إلى رأس الجبال.

يا زمن السوء وقد هيجّت علينا الشعب الخبيث
جزّ السكين في اللحم حتى العظم
وكالدودة التي تنخر في الكلي
تنمّر عدونا واستباحنا.

أحد القساوسة ويدعى شابو القطربلي
أو عبد الأحد باللغة العربية
نال إكليل اسطفانوس أول الشهداء

يوم الأحد في السابع من تشرين الأول

بعض من نجوا اختبأوا في المغائر
وفي جفائر التبن
وآخرون من فزعهم هربوا إلى رؤوس الجبال
أعوذ بالله من الويلات التي أجترحها الكفرة بالمسيحيين.

نزل نبأ البليّة كالصاعقة على آمد
فطار لب الجموع شعاعاً من الفزع
إمتقع لونهم
لهذه المجزرة التي لا حدود لها.

دعا حنا إبن سفر متقدم قرية مذيات
إبن عمه شكرو
وتوّجها معاً بدافع الغيرة
إلى الحاكم الروماني[1]

وجلسا بين يديه
واستأذناه بشرح قضيتهم:
نحن السريان تابعون لسلطة الدولة
ومهددون من قبل الأكراد وأفّاق الطرق.

فكان رد الحاكم شافياً
وأعلمهم بأمر الوالي
الذي يحظر المساس بالسريان
فغادرا داره مطمئنين

عادا إلى بيوتها بسيماء البشر

(١) العثماني.

وبشرا أهل مذيات بالفرج
فانشرحت القلوب
وصار الحاكم للسريانية حصناً منيعاً

حلت الرحمة في قلب الحاكم
التابع وجنوده للسلطان حميد
وصار يَذُود عن جميع السريان
وعن المذياتيين خصوصاً

تأملوا جيداً يا أحبائي في هذا الأمر
ولن يعسر عليكم الفهم
فيما صنعته هذه الأمة بالمؤمنين
وفي مخططها الدموي.

أي فزع وخوف ويأس
حلّ في العشرين من تشرين الأول
حتى شهر نيسان المبارك المزهر
ولا سبيل إلى النجاة

هنيئاً لمن نجا بنفسه في هذا السبي
حين تكاتفَ الكفرة سوية وطغوا
وشنّعوا في المؤمنين
واستباحوا المسيحيين

بحر الجود الذي أفاض رحمته على طور عبدين
من حدود النهر عند الحصن حتى جبال مار أوغين
وإلى الجزيرة الواقعة على دجلة وحتى ماردين
هذه بأجمعها حَمَتها قوة الله من كل أذى

يسوع المسيح المكنّى بالنصراني
حمى أرضنا وكل سرياني فيها
حلّت الرحمة في قلب الحاكم العثماني
فحظر المساس بأي مذياتي.

رفع الكهنة في الكنائس بلا إنقطاع
صلوات وتضرعات
وطلبات وسجدات كذلك
صارخين: إرحمنا لدن الله

الكهنة والجموع رجالاً ونساءً بلا استثناء
الأطفال والأولاد والشبان أجمعين
قدموا إليك يا رب بلا إنقطاع ذبيحة السلامة
صارخين وضارعين: إحمنا يا رب.

لم تبق خليقة تدرك وتحس
فتندب الهياكل التي اغتالوا فيها صوت الجرس
فقد جندل الكفرة الشمامسة والكهنة
وصرعوا الرجال وساقوا النسوة بالقوة.

ما رأيت وما سمعت قط خبراً مدمراً كهذا
عن مذبحة المسيحيين والدم المهراق.
صاروا تراباً وغباراً تحت أقدام الكفرة
الشعب المجرم المتلهف للدمار كالحيوانات

من بيزنطية المدينة العظمى للملكة
صدر فرمان بذبح الأرمن
ولم تشأ حمر الوحوش البرية فهم مضمونه
فاعملوا سيوفهم في المؤمنين بدون تمييز.

من مدينة قسطنطينية التي هي العاصمة بالذات
صدر حكم في أرمينية وحتى بدليس.
أنظروا يا أحبائي الشعب الذبيح
أما الناجون فحالهم أقرب إلى المنون.

صدر أمر من سلطان بيزنطية
في حق كل الأرمن
من حدود النهر في الحصن حتى نواحي سبسطية
ومن هناك أيضاً إلى سهل الرضوانية.

أيها النور الذي أنار ببهائه كل بنيه
هبني إدراكاً كي ألحّن أحلى الألحان
في الجرائم التي إرتكبها الكفرة بعبيدك الأطهار
فقد قتلوا الرجال وألقوا بجثثهم في الأنهار.

أذاقنا الكفرة من الموت السم الزعاف
وكل ما ذكرناه حق
بخصوص الفرمان الذي أصدره السلطان
وهل لنا من شافٍ سواك كما قيل.

هذا العفن الذي تلوثنا به منذ البداية
أثار علينا الشعب الكافر
إنقضى هذا الزمان بالسبي
ولم يتبقَّ لنا غير رجائك يا الله.

أمنا الكنيسة تدق على صدرها بيدها
وقع شعبنا في المصيدة يلويه الفزع كالأطفال
ألا ليتنا نحلق في الفضاء أسراباً أسراباً
فقد نخرت أفئدتنا اللطمات.

يحثني التفكير والوعي والغيرة
كي أنظم ميمر الألام والحسرات
عن الحروب والسبي والنهب
عن الفظاظة التي افتعلها أبناء هاجر بالمسيحيين .

الأجساد التي صرعها الاعداء تجثم في المزابل
وأخرى مطروحة في الأزقة والساحات
وبعد عشرين،ثلاثين يوماً
أمروا بإلقائها في الأنهار

جاء في رسالة بولس الرسول إلى
طيمتاوس تلميذه وصديقه :
ستأتي أزمنة وأيام عسر
يكون فيها أناس مجدفون محبون للمال وللشهوات

نقل الكفار معهم من مكان إلى مكان
الصلبان وصناديق الذخائر
وأواني التقديس والصور
وباعوها في خضم الفتنة من كل الشعوب .

صليبك الحي رمز قوتك لأن إسمك عظيم
ألا ارجعْ الكفرة وأعداءنا مدحورين من كل جانب
طاعوتا صار لنا الكفرة
وليس لنا أب سواك .

هبّ الكفار من جبل مالافي
فهبّ معهم الأكراد
وحطوا سوية على بلاد العرليين
يفتكون بكل المسيحيين وينهبونهم .

هاجم الكفرة السفاحون قرية حسحس
وأحاطوا بها إحاطة الأسوار بالمعصم
هرب المحاصرون من الجهة الجنوبية
فنهبوا كل شيء فصارت خاوية خالية.

هبّت قوى البلدان أجمع من كل جانب
في ذلك الزمان الرديء
هرب محاصَرو قرية حسحس بفزع عظيم
هدموا الكنيسة وأحرقوا الدور والقصر الكبير.

كان يوجد في حسحس رجل معتبر وكريم
إسمه مقدسي أفرام وكان مقدماً في المنطقة
يملك ثروة لا تقدر من الذهب والفضة
والحنطة والسمن والخراف والثيران.

إضطر المقدسي أفرام المذكور كبير
السريان أن يهرب مع مواطنيه، فصاروا غرباء.

أرضروم
١٩١٥

يقول (دنحا) من قرية «باتي»: خدمت في الجيش مدة سبع سنوات حتى عام ١٩١٥ وقد كنت ملتحقاً بإحدى القطع وكان معي ستة آخرون من أفراد الشعب السرياني. كنا نسير في إحدى الليالي صادعين لأمر قائد الجيش لا نعرف وجهتنا ولا غايتنا.

وقد مات كثير من الجند بسبب الجوع والتعذيب وظلم الضباط وترك الكثيرون بدون دفن مأكلاً للحيوانات.

في أحد الأيام كان جالساً ورفاقه الستة أمام المخيم والأفكار الأليمة تلعب برؤوسهم فمرّ بهم رجل ورآهم جالسين حزانى فبادرهم بالسؤال: لمَ هكذا أنتم حزانى؟ يبدو لي أنكم مسيحيون.

أجابوا: أجل نحن مسيحيون.

فقال: وضعيفون جداً؟ لمَ لا تدخلون هذه المدينة (أرضروم) وتتوجهون نحو المطران وتعلمونه بأمركم؟ وفي اليوم التالي نهضوا وذهبوا إلى المدينة ودلّهم أناس على المطران قد وخط شعره الشيب فألفوه باكياً. وسألوه: لمَ أنت حزين؟

أجاب: قد صدر أمر من السلطان وجاء الجنود وجمعوا السلاح من أيدي أبناء المدينة قائلين: بأن السلطنة بحاجة إليه أكثر منكم. وتابع كلامه: وقد

صدر أيضاً فرمان لذبح الأرمن وبما أننا قد سلّمنا سلاحنا أعرف من الآن فصاعداً أن لا أحد بإمكانه أن يجابه الأعداء.»

وسألهم: من إين أنتم؟

أجابوا: نحن سريان من الجنوب أي جنوب أرضروم لأن هذه تقع شمال طور عبدين.

للحال فتح باباً ما عن يمينه وقال لنا: تفضّلوا. ولما دخلنا فتح صندوقاً مليئاً بالفضة وملأ حفنتيه وأعطى لكل منّا وقال: خذوها عوضاً عن أن ينهبها الغرباء مصروفاً لكم. وتعالوا يوم الأحد إلى الكنيسة للمشاركة في الأسرار المقدسة. عسى الله يرحمنا ويرحمكم.»

وفي صبيحة يوم الأحد بكرنا إلى الكنيسة وألفيناها غاصة بالمصلين فيما خمسة كهنة يقيمون الذبيحة الإلهية على خمسة مذابح وآخرون يصلون على المؤمنين الذين يعترفون بخطاياهم ويشاركون في الأسرار وقد إستبدّ بهم البكاء وهم يصرخون قائلين: يا رب إرحمنا.

وبعد الصلاة، رجعنا إلى المخيم وفي اليوم الذي تلاه رأينا الجموع المسلمة تتجمع من كل حدب وصوب تزعق بحناجرها واختلطوا بالعساكر وانتشروا في المدينة وجمعوا الرجال والشبان والشيوخ والأطفال بالآلاف وربطوهم بالحبال وأخرجوهم خارج المدينة إلى الوديان القريبة ورجموهم بالحجارة وبالأسلحة المختلفة قتلوهم وهكذا أقفرت المدينة من ساكنيها.

وفي اليوم التالي جاؤوا بالمطران رئيس الكهنة وجميع الكهنة وهم موثوقون وكوكبة من الخيالة تدفعهم أمامها بضربات السياط وقد أخذونا نحن أيضاً معهم وأصعدونا إلى سفح جبل حيث توجد مغارة وجعلهم الضابط أمام بابها ليُقتلوا.

حينذاك سأل المطران الضابط أن يسمح له بالصلاة. وبعد أن صلوا نحو

عشر دقائق أمر الضابط جنوده فحصدهم الرصاص وصرعهم فأمرونا نحن المسيحيين أن نسدّ باب المغارة بالحجارة ولم نكد نصل إلى مدخلها حتى وقعنا على الأرض عدة مرات مغشى علينا من شدة الخوف.

وفي تلك الليلة تداولنا فيما بيننا واتفقنا على الهرب وفي الليلة التالية إتخذنا وجهتنا نحو الجنوب. كنا نسير ليلاً ونختبيء نهاراً مقتاتين بالحشائش.

لكننا تهنا في اليوم التالي لهربنا فقد كنا بسبب تباعدنا عن بعضنا لا نجرؤ أن نرفع صوتنا بالمناداة.

وتابع: بقيت وحدي وأنا أجهل مصيري والمتاعب التي تنتظرني وكنت أصلي بتواتر إلى أن وصلت بعد فترة طويلة إلى جبهة جبل عينورد. وكنت قد سمعت من البعض أنه لم يتبق من القرى سواها.

قصيدة

للمطران قوريللس يعقوب[1]

في يوم من الأيام وقد كنت مقيماً في دير رائع
يرتفع بناؤه بالقرب من «صالح» القرية الحبيبة
وقبل أن أبدأ بصلاة المساء الإعتيادية
جاءني رجل من قرية «باتي» الفاضلة
في ساعة غير متوقّعة
وفي قلبه شؤون وشجون
أثار رمادها الأكراد
بسفكهم دماء المسيحيين.
إستفسرته بوضوح عن تلك المصيبة المذهلة الظالمة
التي افتعلتها الأمة البربرية بأبناء الكنيسة
وخاصة في مدينة أرضروم الكبيرة
قال: خدمت فترة طويلة في الجيش
نحو سبع سنوات في صفوف الفرقة
وكانت ضغينتها نحونا لا رحمة فيها ولا عدل
حتى وصولنا إلى أطراف مدينة أرضروم الآمنة
ولما كنا نجهل نوايا تلك الأمة الظالمة
فقد ارتسم على وجهي وأوجه رفاقي الحزن المقيم

[1] سيادة المطران قوريللس يعقوب المتقاعد والمقيم حالياً في السويد.

وكما لو كانت الفرقة تعدنا من الغرباء
وفي النهاية صرنا من الجوع نبدو كالمتسولين
مما ملأ قلبنا غماً وألماً وحسرةً.
ومن شدة التعاسة
والتعذيب الذي كانت تسيمنا إياه الأمة القاسية
صارت نفسنا كئيبة منطوية
والجوع يعضنا بأنيابه ويقض مضاجعنا
فكنا نسأل الله بدموع سخينة
أن يمنّ علينا بملاك الموت
كي نتخلص لا غير من سيطرة هذه الفرقة المسلمة
الفاقدة الرشد
والإدراك
وهكذا بقينا في الجيش
حتى تم فينا تدبير العناية الإلهية.
في أحد الأيام بينما كنا نجتاز عبارة
إذا برجل يدنو منا فجأة ويكلمنا بلطف
ويسألنا عن عدم توجهنا نحو الكنيسة المباركة
حتى نعرض أمرنا على مطران هذه المدينة
وبما أن أرضروم لم تكن محتجبة عنا
ولا ببعيدة
فقد توجهنا نحوها أنا ورفاقي.
لأول وهلة تصورناها مدينة خاوية
لكننا ألفينا فيها جوقة كهنوتية
وأصعدنا الشمامسة بلطف أخوي
إلى مقر المطران حيث أخذنا قسطاً من الراحة
وقبل أن يطول بنا المقام هناك

تحول البشر الذي كان يضيء محيا المطران
إلى بكاء وشجن
ودموع سخينة لا تكفكف
وكنا قد طلبنا طعاماً
أو إداماً لنفسنا الخائرة
ولما عاينا الحزن في وجه المطران
أخذتنا الدهشة
فسألناه عن التغيير الذي طرأ
وعن العبوس الذي بدّل ملامح وجهه
أجاب بأن جارتنا الأمة المسلمة
تنوي قتل أبناء كنيسة الرب.
حين سمعنا هذا الخبر العجاب
رفعنا أنظارنا نحو السماء
مقر العلي
كي ينجينا الله من هذا الغضب الهمجي
ثم تحدثنا مع المطران
ورجونا من سيادته
ألا يحرمنا من صلاته المقتبلة
وضراعته من أجلنا لدى العناية الإلهية
عند ذاك أشار المطران بيده المقدسة
إلى خلف الكرسي وفتح باب إحدى الغرف
التي كانت تحتوي على صندوق الذهب وأموال الكنيسة
وفجأة فتحه بيمينه المباركة
وأدخلني المطران مع رفاقي إلى الغرفة
واغترف وناولنا ذهباً كثيراً كأننا من خاصته
بسخاء محبة المسيح ومحبته الأبوية

وهو يقول رافقكم الرب
ثم أوصانا بكلمة أخيرة ملؤها الرجاء
أن نأتي ونشترك معهم يوم الأحد في الكنيسة
حتى نقرّب سوية القداس والتضرعات
ليخلصنا الرب بيده القوية.
رجعنا بخوف ورهبة إلى مخيم الفرقة
ونحن نرتجف من الهلع الشديد.
مرّ هذا الأسبوع ساعة فساعة
ويوم الأحد توجهنا سوية نحو الكنيسة خائفين
فألفينا أبناء المعمودية الغافرة
مجتمعين في كنيسة الرب المقدسة
وهم يقيمون الصلوات والتضرعات لرب الكون
بنفس واحدة ونية صافية
وكلٌ منهم يوقظ ضميره الغافي
ويعترف بالخطايا التي ارتكبها قبل أن يحين الأجل
أمام الكاهن وبدون تأخير
كي يكمّل إرادة الرب بضمير نقي
وجهه ناحية الشرق وقامته منتصبة
مغموراً بالعفة والتواضع والحب متقدماً
ليتناول جسد ودم الرب غذاءً حياً
لِيُقيتَ نفسه التي صارت نسيبة للملائكة.
وللحال تقدمنا يدفعنا حب يسوع
وغسلنا ضميرنا من الإدران
واعترفنا أمام الكهنوت الطاهر والواعي
واشتركنا بجسد ربنا بنفس منسحقة
وحالما صار في فمنا هذا السرّ الحق

إنقلبت نفسنا إلى أخرى قوية
لأنها تنعّمت بجسد ودم المولود من البتول
وصار غذاءً للمؤمنين.
بالفرح والورع تزودنا من الكنيسة
وسرنا في سبيلنا بنفسٍ منكمشة
ودخلنا حالاً إلى مخيم الفرقة المتجبرة
التي نصبت فخاً شريراً للمسيحيين.
ما كان أقسى يا أخوتي صدى الصرخة المسحوقة
التي إرتجت في الفرقة بعد ثلاثة أيام
«أدخلوا المدينة واجمعوا أهلها إلى بعضهم البعض
وأوثقوهم مجموعات مجموعات.»
إستعد المتمردون وزأروا كالأسود ودخلوا المدينة
وأخرجو أبدون رحمة النساء من بيت إلى بيت
ونقلوهم بالمئات والألاف إلى مكان واسع
وأحاطوا بأبناء أرضروم المدينة العظيمة.
قتلوهم صفوفاً بدون شفقة
يدهم الدنسة رجمت البعض بلا رأفة
فاستشهد رجالهم وشيوخهم الذين أحنتهم السنون.
بسيوف مسنونة وبأسلحة متنوعة فصَمَت
الأمة الكافرة أعضاء الشبيبة عضواً فعضواً فكانت ذبيحة.
يثقبونهم ودمهم يسيح على الأرض
ينظفون بطون النساء بالنصال المسنونة
فاتكين بالأجنّة بدون تحفظ
أو خاطفين العذارى بنيتهم الشريرة
يضربونهن ويأخذوهنّ إلى المصير المجهول.
ثم جاء دور الأطفال والطفولة.

لقد ثقبوهم كالحيوانات
الرضّع الذين لا يزالون على الصدور
يمسكون بهم يضربون بهم الجدران كقطع العجين
ليس في قلوبهم رحمة بالجبلّة الإلهية
ولا حنان على العنصر البشري
ماذا أقول، كيف أقصّ يا بني الكنيسة،
على آخر مشهد رأيته.
المطران موثوق وبمعيته كهنته
حفاة يدفعونهم أمام الفرسان
أصعدوهم وقد وهنهم التعب
إلى جبل عالٍ فيه مغارة عميقة
أوقفوهم هناك وأعلنوا لهم بسموم كلامهم
أنهم سوف يقتلون لا محالة
حينذاك إلتمس المطران من رئيسهم
وتحدث معه لبضع دقائق
أن أسمح لنا كعادتنا أن نرفع للرب صلاة
ثم أقتلونا ونفذوا غاياتكم فينا
حينذاك أمر رئيس الفرقة جنوده
ومنعهم من تسديد أية ضربة
إلى أن رفعوا إلى الرب ربهم صلاة متواضعة
وأصعدوا المجد للألوهة واهبة الحياة
وبعدما انتهوا أشار قائد القوة إلى جنود الفرقة
أن يمطروهم بالرصاص بدون توقف
وقد ربط كل واحد عينيه الحزينتين
كي لا تعاينان ضربة الشعب العاتي،
تلقى كل واحد ضربة فاتكة قاضية

من بني الأمة العثمانية البربرية
حتى انفصلت روحه المظلومة عن جسده
وصعدت بفرح إلى ملكوت السماء في العُلى
حينئذ أمر الرئيس بفظاظة :
«سدوا بالحجارة فوهة هذه المغارة»
وللحال سددناها بالحجارة وتركناها
منحدرين بسرعة إلى مخيم الفرقة .
وممّا لمسناه من الضربات القاسية
التي أصابت مسيحيي أرضروم وفتكت بهم
شعرنا بأن الموت منا يدنو
ولهذا فقد لذنا بالهرب لننقذ أرواحنا الضعيفة .
خرجنا إلى الطريق في ساعة مخيفة مظلمة
متكلين على العناية الإلهية
أحدودبت قاماتنا من كثرة المسير
وعرجت أرجلنا من مسالك الأشواك
وزاد الخوف إضطراباً في نفوسنا المستضعفة
ونحن في سباق الموت هذا
سار كل واحد منا يسير في هاوية متعرجة
لام الليل وفي تعرجات الطريق الكثيفة
ا السبب تباعدنا عن بعضنا
ما في النهار فلم نكن نسير
لأن أعداءنا في الكروم والحقول وفي كل مكان
كانوا منتشرين منتظرين أن يقعوا على نفس مسيحية .
خرجنا سبعة سوية في مجموعة محبّة
لكننا افترقنا بسبب تعرجات الطريق المخيفة
حيث سار كل منا في طريق مجهولة

فأضاع أحدنا الآخر.
لم يكن لدي طعام يذكر
أتقوت به حتى أتمكن من الوصول بدون تأخير
إلى قرية «كفرا» كي أحتمي فيها وأستريح
فبدأت ألتقط العشب وأمضغه كطعام
ودام درب الصليب هذا قرابة الشهر
حتى اقتربت من «كفرا» المذكورة
ونظرت فإذا بها لم يتبق فيها أي شخص من الأمة المسيحية
ولا في «بياردا» ولا في «بنكلبة» أو في مكان آخر
فيممّت شطر عينورد القرية المباركة
على ما سمعته من رفاقي الذين كانوا في الفرقة
بأنها القرية الوحيدة المحصنة في الجبل
وغمرني الرب بعنايته الإلهية
وسدّد خطاي ومهّد لي سواء السبيل
حتى وصلت إلى عينورد قرية النجاة
فمجدت إسمه الذي جعلها لشعبه حصناً للحق.

حصن كيفا

كانت حصن كيفا مدينة كبيرة ومحصنة مبنية على نهر دجلة في موضع ما حصين وعلى صخور صلبة تشرف على وادٍ عميق حيث تتشكل فيها مغائر ومساكن لقاطنيها، وفي فترة ما كانت عاصمة لمنطقة طور عبدين وغرزان حتى حدود آمد. وكانت مقرّ السلاطين والملوك الأيوبيين. وقد شهدت حروباً كثيرة كما يبيّن تاريخ طور عبدين وسواه فيما يأتي:

«قوسطوس الملك إبن قسطنطين الكبير الذي بنى آمد أحبها أكثر من سائر مدن مملكته، وأخضع لها بلداناً جمة من رأس العين وحتى نصيبين وميا فرقاط وأرزون حتى حدود قردو وأقام فيها قلعتين عظيمتين حصينتين كي تكونا ملاذاً لسكان هذه المناطق من جيوش الفرس، إحداها بناها على تخوم بيت عربايا بجانب الجبل والأخرى على نهر دجلة وأسماها حصن كيفا ورئيسة إقليم هذا البلد» وقد اشتهرت حصن كيفا جداً إذ بعد أزمنة بعيدة ظهر فيها ملوك الأيوبيين.

مذبحة مسيحيي حصن كيفا

كان زكا بيت توما مقدّم حصن كيفا سنة ١٩١٥ زعيماً لكل من الجانبين أي للمسيحيين والمسلمين على السواء.

وكانت غالبية المسيحيين من الصنّاع أما المسلمون فكانوا من الفلاحين.

وكان يتعامل زكا بالسكر والخمر من عصير كرمه. وكان أحياناً يدعو مدير المنطقة الحكومي إلى داره لينادمه إذ كانت تربطه به صداقة متينة.

ولما سمع مسيحيو البلد أن بشيرية وغرزان قد دمرتا، فاتح زكا المدير بالموضوع فشدّد من عزيمته وشجعّه قائلاً: لا يوجد أي فرمان ضدكم أيها السريان وإنما فقط ضد الأرمن الذين ثاروا بوجه السلطة وحتى هؤلاء فسوف يُعطون الأمان، فلا تخافوا إذن.

فاطمأن زكا لهذا الحديث وأخذ يشدد من عزائم السكان بموجب الكلام الذي سمعه من المدير الخداع. كان سور الحصن عالياً جداً وحصيناً، وحين تغلق أبوابه ليس من قوة بإمكانها أن تفتحه من الخارج ولهذا السبب فقد كانوا يغلقونها على الدوام وكان حراسها من المسيحيين.

فيما بعد تآمر المدير مع زعيم المنطقة المسلم ويدعى «أمين أحمد عبد الله» كي يفتح له الأبواب في وقت متفق عليه. ثم طلب من زكا أن يضع هو بنفسه عساكره حراساً على الأبواب مزيداً في دعمها. وهكذا وفي ساعة لم يتنبه إليها زكا دعاه المدير لديه فجلسا وشربا سوية وفجأة يرتفع صراخ: «أمين قد أقبل بقواته أمام باب المدينة ويريد أن يستحلها». فأخبر الأهالي زكا. فأخذ المدير يهدىء من روعهم: «لا تخافوا. لا يمكن للباب أن يفتح. إذهبوا واطمئنوا».

وأشار سراً إلى جنوده حتى يفتحوا الأبواب وهجم أمين كما ذكرنا هجمته الشريرة ودخل المدينة وشرعوا يقتلون الرجال ويذبحون الأطفال ويأخذون النساء اللواتي نجون من القتل ومعهم زكا وفاق عددهم الأربعمئة نفس.

ومن بين الذين نجوا من المذبحة «عبد الأحد» بن القدسي كبرييل توما شقيق زكا الذي كان قد أرسله وإمرأته مع «درباسو» زعيم قرية كفرا على طلب أحد مسيحيي تلك القرية، والذي جاء قبل بضعة أيام ليأخذ إبنته التي كانت متزوجة في حصن كيفا، وبسبب الصداقة التي كانت تربط آل المقدسي بدرباسو

طلب الأول من الثاني أن يأخذ معه إبنه عبد الأحد وإمرأته إلى كفرا حيث يمكنهم من هناك أن يصلوا إلى مديات.

وبينما هم في الطريق هاجمهم عشرة رجال يريدون قتلهم حين عرفوا أنهم مسيحيون لكن درباسو حافظ على وديعته قائلا للكلاب المسعورة هؤلاء: لقد قتلتم مئات من المسيحيين وهؤلاء هم حصتي، وهكذا تركوهم ووصلوا إلى كفرا ومنها إلى مديات ثم إلى عين ورد.

أما المقدسي كبرييل فقد كان خارج بيته أثناء المذبحة. فاختبأ في مكان ما في الجهة المرتفعة من القرية والتجأ إلى بيت «شيخ صالح» صديقه فخبأته إمرأته إلى أن جاء الشيخ إلى بيته وعرف ما جرى. فحزن جداً واعترف بأنه غير قادر أن ينقذ أناساً آخرين من الموت، ولما طالب المدير وأمين بالمقدسي من دار الشيخ أقسم الشيخ بأنه لم يلتق به وهو غير موجود لديه، وبعد أربعة أيام أرسله في منتصف الليل إلى سور المدينة مع إبن أخيه وأرسل معه طعاماً ودخاناً وحبلاً. فقبّل أيادي الشيخ وودّعه ولما وصلا إلى فجوة ما يعرفها ربط فوراً الحبل على ظهر المقدسي وأنزله من فوق حتى بلغت رجلاه الأرض ثم أرخى الحبل ونزل المقدسي وظل يسير حتى الصباح وفي النهار كان يختبىء وبعد ثلاثة أيام وصل إلى مديات التي ألفاها خاوية من سكانها، حينذاك توجه نحو عينورد حيث وجد إبنه عبد الأحد وعروسه وكان فيها خلاصهم. ونقول:

قصيدة
للشماس أسمر الخوري
عن حصن كيفا

لماذا دكّ الأعداء ودمّروا
قرى ومدن الجبل كله

أليس لأنها كانت بدون مدافع أو معين
ولا يحيط بها برج أو سور عاليين؟

تبعثرت في البطاح والبراري
وليمةً سانحةً لحيوانات البر وحشراتها
من الجحور والجفر خرج إليهم الكفار
فمزقوا مفترسين كل سرياني ومقيم.

أما حصن كيفا المشيدة على رأس الجبل
فكيف سقطت بأيدي ذلك الشعب الكافر
بينما يحيط بها سور يذهل الناظرين
وله باب حصين وأقفال.

لقد خطط الشيطان للإيقاع بها
وحاك لبنيها فخاً
بواسطة أحد الكفرة المتعطشين للدماء كالوحوش
وأنفذ إرادته الشريرة في هذه المدينة.
ويل للإنسانية من شر هذا الإنسان المتكالب
الذي دفن في التراب شعب غرزان والبشيرية
جمع أفواجاً لينصب نفسه جزاراً للحصن
ولو إستطاع لهدم سورها.

لما سمع الشعب المؤمن أن غرزان وكل الجوار
قد سقيت كأس المرارة على أيدي أمين وشعبه الشرير
عمد زكا إلى زيارة المدير
وطالبوه بكف أذى ذلك الكافر عنهم.

بما أنك مدير منطقتنا والبلد كله
أعطنا وعداً حقيقياً بالمحافظة علينا

بينما شعبنا يحرس الباب والسور
حتى لا يباغتنا شخص غريب أو متمرد

قال المدير: إطمئن ولا تكن أحمق
فالسلطان يحميك ويحمي رفاقك
وها أني آمر عساكري لكي يحرسوا باب السور
من الداخل والخارج ومن الجوانب.

خُدع زكا الأحمق بهذا الكلام
وصدق كلمة المخادع اللئيم

فنهى شعبه عن النشاط والسعي
وسلّم الباب إلى أيدي صديقه الخائن.

لم يخطر بباله ذلك الوعد الذي جرى في رأس الجبل
مع النعاج اللواتي قبلن بالذئب لهن حارساً
وهو ما جرى بين المدير وزكا الأحمق
أولم الأول وليمة ورتّب أقداح الخمر.

ودبّر مؤامرة سرية مع الكافر
أمين، وقال أفتح لك باب السور
بينما ربواته تنتشر خارج السور
تعوي وتصرّ كالكلاب والصراصير.

وجاء جماعة زكا لينبّهوه على الخطب المداهم
قائلين: كفاكِ شرباً فقد جاءنا طائر البين
فأجاب المدير المحتال وكأنه ينطق صدقاً:
لا تخافوا فلن يمسكم أحد بسوء.

فالسلطان لا يريد بكم شراً البتة

فأنتم بنوه ولا يحمل لكم ضغينة
وطاب قلب زكا كطفلٍ غرير
بينما هو أشار إلى الجنود كي يفتحوا باب السور لأمين.

ما أذهلك من ساعة حين دخل أبناء العجنة الفاسدة
وانقضوا يهاجمون السريان كالجوارح
قتلوا الرجال ذبحوا الصبية مزّقوا الأولاد
أما العجائز والفتيات فلم يدفنوهم.

بل عجّلوا بهم إلى نهر دجلة
ونهبوا الممتلكات بدون شفقة وسرقوا الحبوب
عجنوا الأطفال وضربوا بالرضّع عرض السور
إستباحوا الجثث وتركوها بلا دفن

أفرغ البهائم المدينة الشهيرة من بنيها
وذبحوا في مدة قصيرة نحو أربعمائة نفس
ولم يتركوا فيهم لا داخل ولا خارج
فواعجباه إذ لم يتبقَّ فيها أي مؤمن حتى اليوم.

ومن بين الذين نجوا من المدينة في ذلك الأوان
شقيق زكا الذي يروون بأن إسمه كان كبرو
وقد وجد خارج بيته
وكان لا يعرف أين يختبيء.

ولما جنّ الليل والكفار ينهبون واضمحلّ النور
خرج خلسة وسار متخفياً بجانب السور
وتوجّه نحو بيت الشيخ صالح حيث أودع ثقته
وطرق الباب قائلاً لإمرأة الرجل:

أنا كبرييل وليس لي ملاذ سوى بيتكم
ولا معين لي في الأرض ولا عوان
فتحت الباب فدلف إلى داخل وسأل أين المحترم
أجابت لا تخف واجعل أملك بالله.

ثم دلّته بثقة على حجرة صغيرة
ليختبيء فيها حتى قدوم الشيخ الفاضل
وبعد قليل جاء الشيخ فكشفت له إمرأته عن سر الرجل
ولما رآه فرح به وأعطاه أماناً فعلياً.

وقال: أما وقد التجأت إلي أيها العزيز
فتشجّع ولا تخشَ بأساً
ما دمت في بيتي فأنت في أمان
وأضع نفسي دونك هدفاً لكل السهام

إمضِ واختبيء الآن بين لبنات الأثافي
فقد يأتي ذلك المدير السيىء الذكر
ويطلب قتلك فأنال بسببك الإهانة
وأصبح محتقراً ومتلبكاً أمام الشعب.

وهذا ما جرى بالفعل، فبعد وقت قصير جداً
قدم ذلك المدير الظالم والفاسد الجبلة
وبمعيته صفوف إصطبغت بدماء أهل البلد
وطرق الباب طرقة من يشمله السكر

وقال للشيخ لقد جئتك أيها السيد المحترم
لا كشف لك عن شيء ما حدث في هذا البلد
إن المسيحيين قد قتلوا ولم يبق منهم شرش
ما عدا المقدسي شقيق زكا المدعو كبرو.

ولما كنا قد فتشنا عنه طيلة النهار داخل السور
لم نعثر عليه حياً أو ميتاً أو مطعوناً
فإن كان عندك فأنا متيقن
بأنك لن تخفيه عني وستكشف لي عن كل الحقيقة.

حينذاك أقسم الشيخ بشرف إمارته
بأن المقدسي غير موجود لديه ولا يعرف أين هو
وإذا بأمين حاجي أحمد
يأتي بطريقة فجائية.

وله أيضاً أقسم هذا الرجل الكامل
بأنه لم يُجرَّ في بيته أي شخص مسيحي، صغيراً كان أم كبيراً
ولما غادروا بيته، شرع هذا المحامي يفكر
في أفضل وسيلة يحافظ فيها على حياة المقدسي.

وظل كبرييل في ذلك النقب
مدة أربعة أيام لا يجروء على النزول نهاراً
خشية أن تطاله الأنظار
فيُقتل هو ويلتحف الشيخ الفاضل بالخزي والعار.

وقال كبرييل للشيخ المحترس
إن شئت أن أبقى حياً سالماً
أدعُ إبن أخيك فإني أرغب أن ألتقيه ههنا
وأملي كبير بالنجاة.

فقال الشيخ: إني أعجب من كلامك
فلستُ أثق بالإنسان المجبول من التراب
وليس ببعيد أن يكشف السرّ فوراً
فيشاع بين الناس بأنني دجال كذاب.

لكن حين عرف بأنه صديقه
أرسل في أثره فالتقيا في منزله
وتعانقا عناق الأحبة
هذا يبكي وذاك يعصر قلبه الألم

وقال: يا أخي أحمد الله كثيراً
فقد اكتحلت عيناي بنور لقياك البهي
لكن قلبي حزين على الأجساد التي براها الله
وقد طرحتها الشعوب اللعينة زوراً وبهتاناً.

قال الشيخ: إن أردت يا بني أن تنال أجراً
من الله، وعزّاً بين البشر
دونك فانقذ هذا الرجل صديقك
خذ بيده بروية واخرجه خارج السور.

فمضى للحال إلى بيته ورجع بعد قليل
ومعه كيس من التبن وهشيم النار
وأربع فطائر وعلبة ثقاب للوقود
وثلاثة حبال طويلة وأخذه إلى السور

وجلسا هناك يتحادثان ويشعلان النار
قرابة ساعة وقد وضعا ثقتهما بالله
وعقدا الحبال ببعضها البعض هو والرجل
وأنزلاها حتى بلغت أسفل السور.

عنذاك ربط الحبال والأكياس بظهر الرجل
وشيئاً فشيئاً بدأ يدلّيه من على ظهر السور
حتى وصل إلى الأسفل سالماً بينما هو فوق واقف
وحلّ الرباط وقال: إنطلق وليحرسك الله.

شرع يركض كالظبي في سفح الجبل
ويقفز من صخرة إلى صخرة
وسار الليل كله حتى الصباح
ووصل إلى عينورد في إطلالة الفجر سالماً.

أما إبن المقدسي كبرو هذا
عبد الأحد وإمرأته فقبل عشرة أيام
كان قد سفّره مع درباسو الزعيم الصديق إلى كفرا
وقد التقوا في الطريق بعشرة رجال أكراد.

فلما رأى المتمردون المرأة والرجل مع درباسو
هجموا عليهما كما يتحفز الأسد للحمل
قال درباسو: إنه صديقي وصاحبي
وإنها لإهانة فظيعة لي أن أتخلّى عنهما

فاحمرت عيونهم وهمهموا كالأسود والنمور
والتفّوا حول فريستهم الهزيلة
فما كان من درباسو إلا أن استلّ سيفه وطار كالنسر
من واحد إلى آخر كأسد يستعد لوليمة.

«حتى آخر نسمة من حياتي
لن أدعكم تصلون إلى هؤلاء البشر
ألا يكفيكم ما ذبحتم من المسيحيين طيلة هذه الفترة
إتركوا هذا وحده حياً طليقاً».

فلما رأى المسلمون جسارة هذا الرجل
الذي لم يهادنهم ولو افتدى بحياته
قالوا له: ألا امضِ ولا تثريب عليك
من أجل فعلك الحسن هذا والشريف.

فتابعوا السير حتى وصلوا إلى قرية كفرا
ومكثوا هناك بضعة أيام
ولما سمعوا بأخبار الدمار والتدمير التي حلّت بالجبل
إنطلقوا إلى مذيات ومنها إلى عينورد التي حماها الرب.

كربوران

مدينة كبيرة وقديمة وتقع في البلد المدعو «بيت عربايا» على مسيرة إحدى عشرة ساعة شمال شرق مذيات حاضرة طور عبدين، ودار مطرانية المنطقة، وقد تأسست في موضع دير الصليب «بيت إيل».

سكانها: كانت تضم سنة ١٩١٥ م. نحو سبعمائة بيت من شعبنا الأرامي، وخمسة بيوت كاثوليكية ونحو عشرين بيتاً بروتستانتياً، ونحو خمسين بيتاً كردياً مسلماً (وحتى هؤلاء فأصلهم من الشعب نفسه).

وكان للسريان مطرانهم ويدعى أنتيموس يعقوب وهو من متخرجي دير مار مرقس بالقدس، وسبع كهنة: القس العجوز أفريم، والقس سيسن، والقس يعقوب، والقس عيسى، والقس مراد، والقس كريم، والقس لحدو، وراهب يدعى لحدو.

كنائسها

أ - كنيسة مورت شموني وأبناؤها السبع، والمبنية بالصخور العظيمة على رأس التل الكبير الذي كانت قد شُيدت فوقه القرية القديمة، بناها القديس مار شمعون الزيتوني وهدمها سنة ١٣٩٥ تيمورلنك ملك التترين الغاشم وحتى الآن لا تزال شجرة زيتون ضخمة من بقايا أغراس مار شمعون نضرةً في باحتها.

الثانية: كنيسة صغيرة على إسم والده الإله مريم في غربي القرية وبناؤها

ليس ببعيد عن الأولى وهي مخصصّة لدفن الموتى المؤمنين.

الثالثة: كنيسة مار جرجس الشهيد المبنية على شاطىء النهر في شمال المدينة وقد هدمت على ما ظهر لي منذ زمن ليس ببعيد. وهذه الكنيسة أيضاً مشيدة بصخور عظيمة نظير مورت شموني.

الرابعة: وهي على إسم مار قرياقس الشهيد ويوليطي أمه وبنيت منذ حوالي قرن وبناؤها جميل على العموم لكن قبتها ليست بالعالية وفي ناحيتها الشمالية توجد قبور المطارنة عبد الأحد الكربوراني والمطران مار أنتيموس يعقوب المذكور الذي سنقف عليه ميمرنا حول مذبحة كربوران، وبعض من قساوسة وكهنة الكنيسة.

ويوجد أمام بابها من الجهة الغربية غرفة صغيرة للخادم وفي الشرق غرفة مخصصة للمطران ويسكن فيها الآن كاهن الكنيسة وفوق سطحها بنى له المطران مار انتيموس يعقوب غرفة نوم خاصة.

أنهارها

يوجد في كربوران نهر كبير ينبع من نبع صافٍ في كعب جبلين تحت قرية شكفتكه الصغيرة (مغائر) وبوجه دورا حتى أن سفوح الجبلين تعجّ وتشعشع بكروم العنب والتين وبأشجار الكمثري التي تتعلق فواكهها بالأغصان كأقراط الذهب، وتزدان بالأشجار المثمرة كالتين والإجاص والخوخ والدلب والحور التي تصل رؤوسها إلى السماء ويشطر النهر المدينة إلى شطرين من الشمال إلى الجنوب.

طواحينها

من رأس النبع وحتى أسفل المدينة تنتصب سبع طواحين عاملة مصطفةً

داخل الوادي الضيق والعميق عدا عن الطواحين العتيقة والمتهدمة.

أ ـ طاحونة بيت أوصمان (عثمان) علي.

ب ـ طاحونة بيت يعقوب يوسف (القس سيسن)

جـ ـ طاحونة بيت كوسا (خاجو)

د ـ طاحونة الحجر ومن هنا ينقسم النهر إلى قسمين: صيفي ويجري نحو الغرب والجنوب، ويسقي الحقول والبساتين المنتشرة في الشهل الفسيح (مذَرَب) والتي فيها يبيعون ويوزعون القطن والأرز والسمسم على القرى المجاورة.

هـ ـ طاحونة شكفتكه (المغارة).

و ـ في نهاية الوادي وفي رأس غابة (مار جرجس) وقد وكلّ القس آباي بمشاركة «كورية كابلو» إلى «خاجو كوسا» عملية إصلاحها وفي كانون سنة ١٩٣٥ أدّت غزارة الأمطار والبرد التي إنهالت في المسيل إلى إقتلاع إحدى أشجار البلوط الضخمة في الوادي فتهدم بناء الطاحونة وجرفت المياه محورها ولا تزال مهدمة إلى يومنا هذا. وكذلك طاحونة بيت شمشو في أسفل القرية.

ز ـ طاحونة بيت «جرو» وتقع وسط المدينة أمام الجسر الفوقاني وقد بني أمامها سوق لحوانيت الحرفيين: الإسكافيين والحدادين والباعة وتجار الأقمشة وسواهم والتي كان يأتيها سكان القرى المجاورة ليتسوّقوا حاملين معهم مغازلهم القطنية والصوفية فقد كانت الحرفة السائدة في أغلب بيوت شعبنا هي الحياكة. لم يكن يوجد في كل المنطقة حرفي واحد خارج كربوران وعربايا القريبة منها.

وكما بيّنا سابقاً فقد كانت المدينة غنية جداً وكان أهلوها يعيشون في أمان ولهذا السبب فقد أثارت غيرة الشعوب المجاورة لها.

وسبب المذبحة معروف ولا بد أنها الإضطرابات التي وقعت بين الأرمن

والسلطان العثماني بهدف السيطرة على هذه المناطق.

أما العداوة الشخصية التي نشأت بين المطران مار أنتيموس يعقوب وآغا هذه المناطق «مصطفى علي رجو» فهذه مسبباتها:

في يوم عيد الدنح المقدس وبالرغم من الثلج الذي كان يغطي الأرض، طالب مصطفى أهالي كربوران أن يموّنه كل بيت على حدة، بحمل من الحطب من أجل التدفئة. ولما كان ذلك محرماً على المسيحيين بدون أخذ تفسيح من المطران فقد أجّل المطران العملية حتى يوم الإثنين التالي، ولما رفض رسل الآغا هذا الموقف غضب المطران وطردهم فلما رجعوا لفّقوا من لدنهم بعض الكلام الشنيع كما لو كان وارداً على لسان المطران مما زاد في هياج الآغا الذي شرع يخطط ويستسنح الفرص للإيقاع به. وإذا بالحرب الشريرة تندلع فيأتي مع جيوشه ولم يشهد القرويون المسيحيون الذين تحصنوا في دورهم وقصورهم مثيلاً لبربرية هذا الآغا الشرير والمجرم. فقد حوّل مياه النهر من أعلى وردّها إلى الجهة الغربية وبعد تعطيشهم ثلاثة أيام تمكن من السيطرة على القرية وحرق البيوت بسقوفها الخشبية وأخيراً توجه نحو مدير المنطقة يطالبه بالمطران يعقوب الذي كان قد لجأ إليه. وبصفته نائباً للحكومة ومفتشاً طلب أن يُسمَح له بإنقاذ المطران بأن يقول فقط: أن المطران قد أسلم. لكن الآغا قال: يجب أن أقتله عنوةً. تقول «شموني إبنة حانة كوري» وهي تروي القصة: رأيت المطران يخرج وهو يزأر بوجه الآغا ويلعن دينه ومن يتبعه، وللحال أسلمه الآغا لعبيده فألقوا به من أعلى السطح إلى أسفل وقتلوه.

ونقل جثمانه إلى كرم ما خارج المحكمة ودفن كيفما اتفق. وبعد فترة قصيرة ذهب «علي طاهر» و«يوسف» إبن شموني وأتيا بالجثة وأودعاها قبراً خاصاً داخل هيكل مار قرياقوس. وبعد الحرب تجمع في البلد نحو ستين بيتاً من شعبنا وأنفذ إليهم أباي دادي شقيقه القس برصوم لفترة قصيرة، ثم أرسل إليهم إبن عمه «القس توما» الذي مكث هناك زهاء السنة.

وفي ربيع ١٩٢٦ جاء بعض المخاتير أعني «كورية كابلو» وكيل الكنيسة وإبن عمه الشماس صومي ويوسف إبن شموني المذكور من كربوران إلى عند الأباي كوركيس في بيت قوسطين (باقسيان) حيث أخبروهم أنّ فيها من هو جدير بأن يرسم كاهناً. وبعد أن طلبوا ذلك من مار طيمتاوس توما مطران الجبل أذن لهم ورسمه وأرسله إلى «عوردنس» لدى القس توما كي يتعلم طقس القداس طيلة أربعين يوماً، ولما أتمّ ذلك ذهب إلى كربوران وأخذنا نحن أيضاً معه وظل يجمع من القرى المختلفة المسيحيين المشتتين أو الذين أسلموا. وصاروا زهاء مائة وخمسين بيتاً. وفي تشرين من عام ١٩٣٤ أسلم الروح في كربوران ونحن جئنا إلى قريتنا عينورد. ودفناه في المقبرة الخاصة ضمن هيكل مار شابو. والآن يترك شباب هذه القرية وغالبية سكانها قريتهم من جديد ويسافرون البعض إلى المانيا وإلى إسطنبول وأوروبا وكاهنهم الذي هو الآن القس بطرس سافر هو الأخر إلى ألمانيا ولم يبق في الكنيسة سوى القس العجوز إبراهيم وهو من «باسه» في جبل بكتانا (فنركه). ونقول:

قصيدة
للشماس أسمر الخوري
عن كربوران

منذ إقامة البشر في هذه البلاد
غلب عليهم الحسد والخلاف
وحب الإنتقام
كأدواء مستعصية على العلاج.

ومنذ الأجيال الأولى، أيها القارىء،
بدأ القتل في هذه المنطقة من الشرق
حين قتل قايين الشقي أخاه هابيل

الشهيد والطاهر.

ومنذ ذاك اليوم بدأ أبناء الجنس
البشري يتعدون على بعضهم ولا يهابون خالقهم
ولم يفطنوا أن هيكل جسدهم هو من صنع الرب
ولا يحق لسوى الخالق أن يهدمه.

ولما عاين الخالق أثر هذه الضربة في
الجنس الذي خلقه لم يطب له الأمر
ونزل بشخصه ليعلمهم طريق الصلاح
ولبس جسدهم كي يدحر بنفسه إبليس المرذول.

لكن بسبب السلطان الذي استأثر به منذ البداية
ظلوا خاضعين لإمامهم الشيطان اللعين
فاستغنوا عن مخافة الله
ونشبوا في بعضهم البعض كالديكة والزواحف.

أما من تبعوا يسوع الناصري
فقد لازمهم الإضطهاد حتى أيامنا
أداروا خدهم الأيسر حسب تعليمه
ولم يشفق الكفرة على عبيد الرب هؤلاء.

ولهذا السبب كتبت وليس في قلبي ذرة من عزاء
من فيض أحداث عصرنا المظلم والبذيء
وأعرّج على بلدة كربوران الرائعة
التي كانت عاجة بالكهنة والشعب السرياني.

فلا جموع، لا شمامسة ولا كهنة أجلاء بعد
في كنائس هذه البلدة المسيحية

وبعد أربع سنوات من ذلك
آب إليها مشرّد واحد بين الناجين.

عام ألف وتسعمائة وعشرين وست
لما استقّر الشعب المنكوب في بلدته
قصد بعضهم مطران طور عبدين
طيمتاوس توما.
وكانوا قد اختاروا جرجس القس أسمر العينوردي
ليصبح كاهناً على مدينتهم بيت عربايا.
وقد نال هذه الدرجة بمحبة الرب
وصار راعياً للشعب المسيحي المشتّت.

بعد رسامته أمره المطران أن يتعلم
الطقس البيعي مدة أربعين يوماً في قرية عرندس
لدى القس توما نسيب القس حنا
وفي نهايتها توجه نحو قرية عينورد.

وبعد بضعة أيام
سافر إلى كربوران التي إختير لها بمشيئة الله
وبدأ يعد مقراً خاصاً
في قاعة منفصلة كان يقيم فيها المطران يعقوب.

وقرابة شهر تشرين الثاني
أرسل يوسف وصومي الجرجري
يرافقهما بعض الأصحاب فحملّوا متاع الكاهن العينوردي
وحمّلوها مع عائلته إلى ذلك المكان الجديد.

انطلقوا عند الصباح وقد وضعوا ثقتهم ورجاءهم في الله
وسياط الغربة تصفعهم

وقد شدّد الرب من عزيمته
وعند العشية وصلوا إلى البلدة الجميلة.

آه يا كربوران، يا أرضاً حبيبةً ويا مدينةً حلوة،
أنىّ لي أن أشيد بمدائحك
يا لجبالك، وأكماتك الكثيفة الرائعة
ونبعك الغزير الذي يروي بطاحك الطاهرة.

يا لجنآتك تسمق أشجارها نحو السماء
بشموخ حبلى بالثمار الشهية
وكرومك بفاكهتها الريّانة
التي يثمل لمنظرها العابرون.

يا لواديك الّذي يدير حتى يومنا هذا سبع طواحين
تطحن حبوب كل المنطقة
وأسواقك التي تتوفر فيها جميع الحاجيات
من لباس ومآكل وأغراض للإستعمال.

وخلاصة القول أن هذه المدينة التي عمرّها الله
كان فيها سبعماية بيت من الجنس الآرامي
ويدير كنائسها مطران وسبع كهنة.
لقد كانت عروساً في جبين الوطن الطوري.
ولما إستقر هذا الكاهن العينوردي في البلد
على أثر الدمار البشع الذي خلفه الشعب الرديء
لم يجد في المدينة المسيحية تلك
سوى مشرد وحيد بائس لا حول له ولا قوة.

وبعد سنة من سكنانا هناك بحسب مشيئة الله
تجمعّ بهمة الكاهن الجليل

عدد لا بأس به من الأهالي، يقدر بستين
بيتاً وحكوا لنا قصة مذابح شعب الله.

شموني كوري التي كانت تخدم مع إبنها
يوسف لدى الحاكم التركي هي التي روت
قصة المذبحة التي إرتكبها الشعب الشرير الفاسد
في كربوران

قالت: لماذا تريد أن تهيجني الذكرى
فاقصّ عليك ما يعوف اللسان عن النطق به
لماذا تريد أن تثير شجوناً بميمرٍ يفيض بالألم والأحزان

أجبتها بأن بالي لن يهدأ
حتى أسمع أخبار المأساة التي تعرض لها شعبنا
حتى لا يطمسها التاريخ
وتصبح في خبر كان.

قالت: أضرع إلى الله وأستغيثه
كي لا يتعرض أبناء شعبنا المسيحي ثانية
لمثل هذه الضربات القاسية
التي أذلّت كربوران وأشقت شعبنا الضعيف.

قيل بأن السلطان العثماني
أصدر فرماناً بذبح الشعب الأرمني
وأنفذ جيشه إلى كل المقاطعات
وجَمع إليه أيضاً غالبية الشعب الكردي.

شرعوا يقتلون المسيحيين بدون تمييز
رجموا الشيوخ واليافعين

خطفوا النساء وخنقوا الأطفال في المياه
واحتفظوا بالبنات تبعاً لنواياهم الشريرة.

ذلك المتعصب الفاقد العرض
إختال على جاره المؤمن الذي عايشه لسنوات طوال ودلف إلى داره
ونهب المقتنيات وقتل رب البيت خلسةً وجهاراً

ولما كان يعتقد أنه بهذا العمل إنما يرضي الله
ويتمّ مشيئته السماوية
فقد أدىّ مهمة القتل هذه على أكمل وجه وبدون وازع ضمير
كما يفترس الذئب النعجة في بيداء مقفرة.

حين يقتل إبن المعمودية تجذل جوانحه
معتقداً أنه يقدم ذبيحة لله
بينما دينونة جهنم له بالمرصاد.

تضطر الأم إلى ترك بنيها على الوسادة
فلا تستطيع أن تأخذ معها سوى إثنين على ظهرها وعلى صدرها
تخبط في الجبال والبراري كنعجة تائهة
لكنهم كانوا يقتلون الأم والأولاد بقلب من فولاذ

أما الحامل التي كانت تهرب بجنينها
إلى المرتفعات خشية أن
يصادفها رجل بربري
فكانوا بالسكاكين يخرجون جنينها الطاهر.

كانوا يجمعون أغلبهم في مياه النهر
ويسفحون دم آخرين بالسيف
فتخرج أرواحهم لتؤدي شهادة لله.

كانوا يجمعون أبناء الكنيسة بمعسول كلامهم
ويقسمون أمامهم بأغلظ الايمان والمواعيد
بأن هدفهم هو إنقاذهم من الموت
وأخيراً يقتلونهم بأبشع صور الخداع والإجرام

ثم يطوفون الليل كله جاهدين
أن يصادفوا فرداً من شعب الرب
كي يرجموه ويطرحوه قتيلاً
غير هيّابين قضا ء الله العادل.

ماذا أحكي عن قرية الرب كربوران؟
في وسطها تجري مياه النهر الصافية
وعلى جنباتها ينداح سهل واسع خصب
وأشجارها مليئة بكل أنواع الثمر.

كان الأكراد يتطلعون بعين الحسد
إلى الشعب الأرامي الرائع
فهبّوا مع الحقير مصطفى آغا
نحو كربوران كذئاب مستعدة للقتل والخطف.

كانت تتألف البلدة حينذاك من
سبعمائة بيت سرياني
فيما عدا الكاثوليك والبروتستانت
الذين كانوا يقيمون بين شعبنا بكل حب ومودّة

لما أدرك شعبنا أن المسلمين
قد أحاطوا بالمدينة ليفتكوا بها
تسلقوا أعلى الأسطحة
وشرعوا يحمون أنفسهم بما يشبه الأسوار

واستنفر بعضهم بغيرة سامية
فتصدوا لهجمات الشعب الكردي
وواجهوا قوات المخبول مصطفى آغا
تحت حماية يسوع الناصري.

لكن مع الوقت إزداد طوفان المتعصبين
بأعداد غفيرة تنبع من كل مكان
تستثيرهم شهوة قتل الشعب المسيحي
وأحاطوا بقرية كربوران من كل الجهات.

بدأوا عملية القتل
والخناجر ثملى في أيديهم الدنسة
فحلّت الفوضى والإرتباك
وكان زمن الخوف العظيم

من حناجر شعبنا الآرامي إنطلقت الصراخات
والعويل والولاويل كصوب الرعد
فهنا القتل والجوع والموت والسبي
وبالرغم من هذا إستمرت مقاومة غالبية الرجال

فعمد المستوحشون
إلى تحويل مياه النهر عن كربوران خلسةً
وداروها نحو الغرب
كي يضعفوا مقاومة أهل البلد بتعطيشهم إياهم.

حارب الرجال سبعة أيام حرباً عواناً
الشعب الكردي
وقتلوا منهم بقوة الرب عدداً لا يحصى
لكن العطش إضطرهم أن يستسلموا للآغا البشع.

فما كان من الشعب الهمجي الفاسد والسفّاح
الذي كان بمعية المجنون مصطفى آغا
إلا أن جمع شعبنا كما تجمع الحملان الطاهرة المختارة
وربطهم إلى بعضهم بواسطة حبال من الشعر كما يُفعل بالجداء.

وبخطة تحويلهم مجرى النهر
إلى واديه الصيفي
إستطاع المسلمون أن يجعلوا من دور المدينة رمياً
ولم ينج من سكان البلدة سوى من لاذوا بالمرتفعات

تضايق المسيحيون فاضطروا إلى الخروج
لكن سرعان ما ضبطهم المسلمون
أوهنوا الشيوخ وأسروا الشبان في مشهد ملوّع
وساقوا حتى الأطفال والعجائز كالجداء.

إقتادوا معهم والفتيات والنساء
وبعض الأولاد أيضاً
فأمست القرية قاعاً صفصافاً
وجميع بنيها شهداء للرب.

بأي لسان أصف
خبر الكهنة والصف الكنسي
الذين أوثقوهم كخراف معدّين لذبيحة طاهرة
وجعلوهم هدفاً للسهام والمدى الدموية.

في هذه المذبحة نال الكهنة
على الفور إكليل الإستشهاد الذي أعده الرب العظيم
لكل من تاقت نفسه إلى الفرح السماوي
الذي لا يزول.

وكيف أروي خبر المطران يعقوب المبجّل
فالقلم لا يطاوعني
لقد سقط بين يدي مصطفى آغا ذاك الأحمق
في ناحية مدينة كربوران المنكودة.

كان قد إلتجأ هذا المطران إلى الحاكم
الذي وعده بحمايته
فوضعه في مكان سري ليحفيه
ثم يطلق سراحه فيما بعد.

سفح الشعب المسيحي
دمه الطاهر بإسم يسوع
ومزج الكفرة هذا الدم بمياه النهر
فصار النهر بقعة حمراء.

وبعدما فتك الآغا ومن معه بشعب الرب
وسفكوا دمه ببربرية في مياه النهر
أخبر بعضهم أن المطران يعقوب لا يزال حياً
فعّجل بالسفر إلى لدن الحاكم

فقد كان مصطفى رئيس المنطقة وآغاها الحقير
يكنّ كراهية شديدة للمطران يعقوب
الذي لم يسمح لشعبه السرياني
أن ينقل له الحطب يوم عيد الرب.

فلما وصل إلى القصر هجم على الحاكم
وقال له وهو يستشيط غضباً:
أطلب منك أن تسلّمني فوراً المطران يعقوب
وإلا فأنا قاتلك لا محالة.

وحالما سمع المطران الأسير هذا الكلام
نزع قبعته وداسها برجليه إحتقاراً
وخرج خارجاً وشرع يشنّع على الآغا الحقير ،

ولما وقعت أنظار الشعب المتعطش للدماء على المطران
خطفوا من صدره، يحدوهم الطمع ، الصليب الحي ،
وانشبوا يقطعون أوصاله بالسكاكين
وأراقوا دمه حتى نال الإكليل البهي .

فأمر علي طاهر أن يوضع
جثمان الكاهن الفاضل في مغارة
وهكذا أضحت قرية كربوران لمدة طويلة
خالية من المسيحيين المؤمنين بالرب الحي .

وفيما بعد ، روى علي طاهر ذلك المسلم ما يلي :
بينما كنت في كرمنا رأيت نوراً بهياً
فنهضنا أنا علي وإبني يوسف في ذلك الليل
وذهبنا إلى المكان الذي دفن فيه جثمان المطران

فقمنا بنقله من الحفرة
بعد أن تأكدنا من النور الساطع فوقه
ولحدناه في قبر داخل الهيكل في جهة الشمال
ولينجّنا الله من عدونا الشيطان .

قرية عربايا
١٩١٥

لم يكن مصير هذه القرية أقل وحشية وجاهلية أبان المذبحة الرهيبة من مصير قرية كربوران القريبة منها والواقعة في شرقيّها . فقد هاجم أكراد قرى ديوان وسردف وهرمس وشيبانية وسواها قرية عربايا وأحاطوا بها من كل جانب، وردّوا عنها مياه النهر وقطعوها ولهذا السبب فقد إستسلم أبناء شعبنا السرياني إلى هذه الذئاب الفاتكة فأوثقوهم بالحبال وسددوا نحوهم سلاح النار، قتلوا الرجال والنساء والشيوخ ثم نهبوا البيوت وأضرموا فيها النار ودمروا البساتين وهشموا الأشجار وسبوا الأطفال والأولاد والنساء الذين فرزوهم وأرغموهم على إعتناق الدين الإسلامي.

أما عائلة بيت ميناس فقد أبقوا لأنها كانت الوحيدة التي تزاول حرفة الحدادة التي كان المسلمون بحاجة إليها وهكذا فرغت القرية من سكانها السريان.

عام ١٩١٨ عندما هدأت الإضطرابات وأعطت الدولة الأمان لكل من يريد الرجوع إلى قريته، جاء بعض الأهالي المشتتين وكانوا نحو عشرين عائلة وشرع الراهب سفر (١٨٤٨ ـ ١٩٥٤) بجمع شمل هؤلاء. ولكن عادت القرية من جديد خالية خاوية كما حدث بكربوران وهاجر أهلوها إلى الأناضول ومنها إلى إلمانيا والسويد وبلدان أخرى. . ونقول:

قصيدة
للشماس أسمر الخوري
عن قرية عربايا

عربايا قرية صغيرة في الغرب
سأوجز الحديث عنها.
يحيط بها سهل فسيح من جميع أطرافها
ونهر شبيه بنهر كربوران المدينة العظيمة.

تتجمع حولها القرى الكردية وطريق ديوان
أحاطوا بها من كل جانت
عروا أشجارها وأضرموا النار في بيوتها وجعلوها خراباً
نهبوا ممتلكاتها وذبحوا ساكنيها كالنعاج.

أحرقوا شبانها وشووا رجالها أما الأطفال
فقد مزقوهم وعجنوهم في معصرة المذبحة والموت
وعاملوا النساء والصبايا كالكلاب
وجعلوهم مأكلاً للحشرات والدابات.

لكن الأعداء أبقوا على الحدادين
وأعادوهم عجالاً إلى دينهم
والآخرون مزقوهم وثقبوهم كما تفعل الغربان
وتركوهم بدون أمل في النجاة.

وهناك من نجا من أيديهم القاتلة
والتجأ إلى قرية دير الصليب
التي عرف أهلوها بالشجاعة
ومدهم يد العون للآخرين.

قرية دير الصليب
١٩١٥

لما بدأت تظهر بوادر الحرب والمذابح في الأفق، تجمع أهالي دير الصليب وتباحثوا فيما بينهم لإيجاد طريقة يقون بها أنفسهم شرّ الذئاب الكردية ووجدوا أن الإتحاد والوفاق ضد الغزاة هي الطريق السليمة الفضلى وهذا ما جرى. فقد جاؤوا للحال بأدواتهم ومؤنهم إلى الدير الشهير دير مار آحو (أو بيت إيل «الصليب») المشيد على رأس تلة قريتهم، وتحصنوا فيه وجابهوا الأكراد الذين إنهمروا من القرى القريبة: أي سردف وهرمس ودير كفنا ألخ، ودامت هذه المعارك زهاء شهرين ونصف حتى ورود فرمان (مرسوم) من لدن السلطان يقضي بجلاء جميع المقاتلين عن القرى المسيحية وعن هذه القرية دون شك. حينذاك جاءت كتيبة من الجيش العثماني وعلى رأسها مختار عين ورد جرجس إبن القس أسمر وأجلوا القَتلة الأكراد وقدموا لشعبها علائم الأمان واستتب فيها السلام والأمن حتى عام ١٩٢٣ حين شرع الشيخ سعيد الكردي وعصاباته بمهاجمة القرى الآمنة فاعتقدت الحكومة التركية بأنه ثائر ضدها وقد وصلت رسائل مزيّفة عن لسان هذا الشيخ إلى الحكومة فلجأ إلى دير الصليب، فأرسلت الحكومة جيشاً كبيراً هدم الدير وقتل بعضاً من سكان القرية واضطر الآخرون إلى الهرب إلى القرى المجاورة. وشيئاً فشيئاً هاجر أهلوها إلى الأناضول وأوروبا الخ. ونقول:

قصيدة
للشماس أسمر الخوري
عن «دير الصليب»

قرية صغيرة محصنة وشهيرة أيضاً
بالإسم الموقر قرية دير الصليب
تحيط بها قرى المسلمين من كل جانب
وتقع بين مسيل وواد متوسطين.

جميع سكانها أحباء وطيبون
ولا يخالطهم عنصر من غير دينهم المسيحي
حينما تناهت إلى أسماعهم أخبار الشعب المعادي
الذي إرتكب مجزرة جماعية بالرجال والنساء والأطفال

تجمعوا وأقسموا معاً بإسم الله العظيم
أن يتحملوا أعباء القتال بنية صافية
وجمعوا مؤن كل القرية إلى الدير المشهور
الذي يتصدر التل حصناً منيعاً.

وأقاموا الخفراء حول القرية من كل جانب
كي ينبهوا الشعب لدى قدوم عدوهم البغيض
وشرعوا يستشيرون هم بعضهم البعض
فأنّ لهم النجاة بالتراخي؟

ولما سمعوا بخبر تدمير كربوران
دخلوا الدير بحزم وعلى عجل
وتحصنوا فيه متّقين السهام الناشبة
التي تحاول النيل منهم.

وبعد قليل جاؤهم الضالّون كالذئاب
التي تريد النيل من الخراف بأنيابها الشرسة
وشرعوا يتهددون بالموت الزوَام والعذاب
سكان قرية دير الصليب.

أجاب المسيحيون أن لنا ههنا ما يكفي من
الطعام والشراب لمدة طويلة ولا ينقصنا شيء
فأنتم بالنسبة لنا ككلاب
تعوي بلا هوادة على عابري السبيل.

وهذا ما جرى فكل كردي سمع بخبر
هذا الدير هجم عليه ورجع كالكلب
خائباً جائعاً مكسور الخاطر
كالثعلب الذي لم يستطع أن يطال ولو حبة عنب.

وظلّ الأبطال طيلة زمن هذه الحرب
يجابهون الأعداء المهاجمين
حتى صنع العينورديون السلام الكبير
وجاؤوا فأجلَوا كل كردي وعدو.

قصيدة
للشماس أسمر الخوري
عن قرية زاز

هلموا يا أصحابي نلقي نظرة
على المجزرة التي ارتكبها الهمجيون والعجماوات
في قرية زاز فجعلوها سخرية للأمم
وأقفروا بيوتها من السكان والأحباب.

زاز المسكينة الرابضة على سهل بين مرتفعين
أحاط بها أهالي «إشتراكا» كالأعصار
وشاركهم أهالي «سردف»
والقرى المجاورة التي على المرتفعات والتلال.

كاهن هذه القرية العجوز وقسيسها
المدعو كبرييل والمعروف في هذه المنطقة
بتواضعه وضميره الحي وقداسته
كان قد عُيِّن في تلك الأيام على قرية قوسطين.

وجاء رجل من إشتراكا إلى الكنيسة
وكان يعرفه إبن الكاهن الذي يقيم فيها
وقال له أن أباك موجود معنا تحت التينة
فتعال وخذه وإلا فسيكون له مصير آخر.

حين سمع ذلك المسكين كلام الكافر
لم يدر بخلده أنه يخدعه
فقد كان يعتبره صديقاً صدوقاً
فلم يتأخر في مرافقته.

وفي الطريق كان يسأله عن مكان أبيه القسيس
فيجيبه: إنه تحت التينة أيها الجبان
ولما ابتعدا عن القرية وبلغا قمة الجبل
أطلق على إبن القس وأرداه قتيلاً.

فلما عرف الشعب المؤمن خبر هذه المصيبة
ومقتل إبن القس على قارعة الطريق
ثارت ثائرتهم وتجمعوا بروح واحدة
وعرفوا من الآن فصاعداً أن لا مجال للتهاون.

دخل بعضهم إلى بناية بيت محمودو
وآخرون إلى بيت حنا
والبقية خيمَ عليهم الخوف والرعب
ولجأوا فوراً إلى مار ديمط.

وللحال إنقضّ أعوان الإثم والشر
وشرعوا بمهاجمة المحاصرين بدون تسويف
واستعر وطيس المعركة بين الجانبين
لا ينثنيان ولا يتراجعان.

رأى من كانوا في بيت حنا أن الماء الذي عندهم
لن يكفيهم سوى وقتاً قصيراً يقضون من بعده عطشاً
وناداهم الأعداء وهم يكظمون النوايا القذرة:
أننا أحباب تعالوا ننقلكم إلى بلد أفضل.

وبعد سبعة أيام من إقامتهم القتال
نفذ الماء تماماً من البئر
فصدقوا ووثقوا بالكلام الذي سمعوه من المخربين
وخرجوا خارجاً وتبعوا خطاهم ضاربين في البادية.

وهكذا أيضاً الذي كانوا في بيت محمودو
سمح لهم أن ينتقلوا من هذا المكان
فصدقوهم وذهبوا معهم في هذا القصيد
وساروا سوية حتى وصلوا إلى بلد آخر.

وقبل أن يبتعد هؤلاء الأسرى عن القرية
أمر المسلمون بطرس خادم الكنيسة:
«قل لرفاقك أن يأتوا معنا إلى قريتنا
حتى نحميكم من كل أذى».

فدعا أصحابه وقال لهم: «إسمعوا إننا ماضون نحو الموت
فكونوا حذرين حتى لو بقينا أحياء عندهم»
فأجابوه: «إرجع أنت وابق معنا
وليكن رجاؤنا واتكالنا على الهنا.»

«إن لم أذهب، يا أصحابي،
سيأخذها هؤلاء المسلمون العتاة حجة
وسيقتلون أولادي والمؤمنين
ولن أخلص من لسانكم ومن الحسّاد.»

وبعض الذين هربوا من أيدي الإشتراكا
لاذوا بالقرى المحيطة بزاز
ومكثوا فيها حتى وصول الأمان للمسيحيين
أما بطرس وإمرأته وإبنه الصغير فقد ظلوا أحياء.

وظلوا يسيرون في الطريق يتبعهم أولئك
إلى أن وصلوا إلى «فيركوم» الواقعة بين المدينتين
وأوقفوهم في هذه القرية صفوفاً
وكان عددهم ثلاثماية وستة وستين.

وفجأة صرّ الأعداء أسنانهم وشرعوا يزبدون
وكما تخوض الذئاب في قطيع في النعاج
رشقوا بالرصاص هؤلاء التعساء المأسورين
فتناثروا كأوراق الأشجار.

فتكوا بهم وذبحوهم كالحيوانات
ولم ينج من بينهم أية أم أو إبنة أو أخت
ما عدا رجلين هربا بسرعة وقوة
وقد وصل أحدهما إلى «حاح» ورجع الآخر إلى قرية زاز.

عاد الأعداء وقالوا للذين في الكنيسة
لقد أوصل الإشتراكا نساءكم سالمين
فهلمّوا إذن وأننا نقسم لكم بأغلظ الإيمان.
بأننا لن نمسكم بأذى حتى تصلوا إلى قريتنا

أجاب الزازيون: ملعونون أنتم وملعون إيمانكم
أنتم الأشرار وفي الشر ولدتم
فتلتم أهلنا ولم يبق واحد فيهم بينكم
ألا فلينتقم الله لنا من أرواحكم.

حينذاك صعّد المسلمون الحرب على المحاصرين
وهدموا جزءاً من أحد جوانب السور
لكن أبناء الكنيسة قتلوا منهم أربعة عشر رجلاً
وكان كل أملهم في رب العالم والأنوار.

رأى المسلمون أن هؤلاء يجالدونهم بدون تردّد
فسألوا مسلمي القرية عن كيفية معيشتهم في الكنيسة
من ناحية المآكل والمشرب والمؤن
وإن كان هناك وسيلة ما لقطع هذا الزاد عنهم.

فأعلمهم هؤلاء بأن هناك بئراً في الباحة
ولها فم خارج سور الكنيسة
فلما كشفوا عنه رأوا إمرأة تدلي بدلوها فيه
فرموها بطوبة وقتلوها.

بعد ذلك جمعوا حطباً وأعشاباً مفتولة
ووضعوها في البئر فامتلأ بها حتى السقف
وهكذا حرم الشعب الملعون والدنس
المسيحيين من شرب ماء البئر الزلال.

مكث المساكين والتعساء مدة سبعة أيام
داخل الكنيسة وليس لديهم نقطة ماء
وشرعون يصرخون مثل أيّل على غدير الماء
ويدعون الرب رب كل الموجودات.

في ذلك الحين جاءت ثلّة مؤلفة من إثني عشر جندياً
فلما سمعوا ضجّة الشعب الملعون حول الكنيسة
صعدوا إلى أعلى واستفسروا عن سبب تلك الفوضى
والجلبة والأصوات والصرخات.

حينئذ صاح الآمر وقال لهم بوضوح
أخرجوا واتبعونا وسننقلكم بأمان
فخرج بعض منهم وتبعوهم واثقين
بالله، وبسبب الضيق والحرمان.

توجهوا نحو الشرق وانعطفوا
وهم يشتبكون مع الأكراد الذين هاجموهم
فلما رأى آمر الثلة جسارة الأكراد
صرخ مقسماً بأنه إن لم يرجعوا لسوف يفتك بهم.

رأى الأكراد أن لا مجال لإبادتهم
فرجعوا بالخزي ونقل الجنود أسراهم
إلى كربوران كما وعدوهم
وأسكنوهم في الدور وهم يتولون حراستهم.

وأمروا أن تجمع جثث الأموات القتلى نهاراً
ويحرقوها خارج البلدة
كما أخبروا مذيات بأنهم قد نقلوا هؤلاء الضعفاء
أما الباقون فظلوا محاصرين في زاز لحماقتهم.

فجاء الرد: جيئوا بالذين في الكنيسة
سالمين إلى مدينة مذيات
فتم بالفعل نقلهم على الفور
وعلى رأس جمعهم القس داود.

نحمل الصليب قضيته وجودنا

هذا الكتاب:
وقفة تأمل بين الامس واليوم
دمعة ألم في عين، وبريق أمل في عين.
قدرنا في هذا المشرق أن نشهد للمسيح
أن نكون الشمعة التي تذوب لتنير الآخرين.
نسقط واحد تلو الأخر
ولا يسقط إيماننا
بل نزداد إيماناً ومقاومة.
نسقط فنقدس هذه الأرض بايماننا ودمائنا نطهرها.
قدرنا في هذا المشرق
أن نبني حضارات
فتندثر تحت اقدام الهجوج والمجوج.
أن نفتش باستمرار
عن واحة سلام واطمئنان وحرية
فنساق كالخراف إلى مذابح الجزارين.
قدرنا أن نتعايش والمأساة.
أن نسير في درب الجلجلة بتواصل مستمر أبداً اجيالاً بعد اجيال.
أن نحمل الصليب قضية وجودنا.
وإذا كان قدرنا أن تكون رؤوسنا كخشب الصندل الذي يطيب الفأس التي تقطعه، فأن عهدنا للشهداء أن نبني المستقبل على قدر ايمانهم ومستوى تضحياتهم ونتذكر دوماً بريق الأمل في عيون اطفالهم.

جورج سولاج

